الجمهـــورية الجـــزائرية الديمقراطـــية الشعـــبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها

جهود فردينان دي سوسير في علم الدلالة

مذكرة معدّة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالبة:

. عبلة شريفي

إشراف الأستاذ:

محي الدين سالم



شعبة: اللغة العربية

تخصص: اللسانيات وتطبيقاتها

ماي 2011

دعاء

قال تعالى:

«الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانْ» سورة الرحمان

اللهم لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت،
ولا باليأس إذا فشلت، وذكرني دائما أن الفشل
هو التجارب التي تسبق النجاح،
اللهم إذا أعطيتني النجاح لا تفقدني تواضعي،
وإذا أعطيتني تواضعا لا تفقدني اعتزازي لكرامتي،
واجعلني من الذين إذا أعطوا شكروا،
وإذا أذنبوا استغفروا،
وإذا أوذوا فيك صبروا،
وإذا تقلبت بهم الأيام اعتبروا.

تشكرات

الحمد لله رب العالمين، والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إنجاز هذه المذكرة، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وبعد:

فبعد أن أتممت مذكرتي أستذكر الجهود التي تسببت في وصولها إلى شاطئ الأمان، وأجد نفسي في كلمة لابد أن أذكرها، وهي أن العمل قد تم على ما هو عليه بفضل الله تعالى أولا، وبفضل الذين كانت لهم الأيادي البيض عليه،

وهذه الكلمة أتوجه فيها إلى الله بالدعاء والشكر إلى من أفادني من العلم حرفا، وإلى كل من قصدته فأعانني واستنصحته فنصحني، وحدثني فصدقني، دعاء من القلب بأن يجزيه الله عني خير جزاء.

فما كان لمذكرتي أن تخرج إلى النور لولا التوجيه السديد والرعاية الفائقة التي شملني بها الأستاذ "محي الدين سالم"، وكان لملاحظاته القيمة الأثر الكبير في إظهار هذه المذكرة فضلا عن إشرافه علي وتشجيعه،

حتى أصبح البحث ثمرة يانعة على الرغم من الظروف والأيام العصيبة التي أحاطت بنا، فله مني جزيل الشكر والامتنان اعترافا بالجهود العظيمة،

وسيظل فضله يحمل من تلمذتي له احتراما وتقديرا،

فقد قيل: "من علمني حرفا ملكني عبدا" فشكرا لكرمه وجزاه الله خير جزاء

ونسأل الله التوفيق والسداد.

إهداء

إلى من لونت عمري بجمالها وحنانها، وعجز اللسان عن وصف جميلها،

وسهرت وضحت براحتها حتى تراني مرتاحة،

وشملتني بعطفها ورعايتها: "أمي الحبيبة".

إلى من غابا عن الدنيا، وكانا لي نعم السند "والدي وأختي حسيبة"

رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه.

إلى من ذقت في كنفهم طعم السعادة:

إلى أخواتي: سعاد، فضيلة ونادية،

وأزواجهن: عبد الخليد، مراد وأحمد.

إلى مريم وسيموشة.

إلى إخواني الأعزاء: منير، نورالدين، حسين ومسعود.

إلى رمز البراءة: آمنة، أسماء، أميمة، سلسبيل، منى، زينب، يوسف وأحمد سعيد.

إلى من قضيت معهما أحلى أيام عمري العزيزتين: "كريمة وعليمة".

إلى كل الذين يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني،

أهدي ثمرة جهدي هذه.

عبلة

مقدمة

مقدمة:

إن النتائج التي حققها علم اللسانيات في مختلف العلوم والمعارف جعلته يحتل مكانة مرموقة، وقد كان في مقدمة هذه النتائج تلك المفاهيم والنظريات التي ظهرت خلال الربع الأول من القرن العشرين على يد اللساني السويسري (فردينان دي سوسير)، الذي يعد بحق رائد البنيوية ومؤسس اللسانيات البنيوية، وهو أول من ألهم معاصريه بأفكار جديدة ومتطورة عن اللسانيات، وإليه يعود الفضل في ابتكار المنهج البنيوي الوصفي، واستعماله في البحوث اللغوية، كما أن الظاهرة اللغوية من أهم الظواهر الطبيعية التي شغلت فكر الإنسان منذ القدم، وقد تناولها العلماء على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم، واللفظ والمعنى أخذا حقهما من هذه الدراسة على مر العصور، والمعروف لدينا أن كل لفظ من لغة من اللغات يدل على معنى معين يصبح له بمثابة العلامة، ومتى أطرقت السمع في الذهن دلالة معينة يشترك في فهمها أفراد البيئة اللغوية، و لم يتوقف الأمر في البحث عن المعنى عند حد الألفاظ، بل تجاوزها إلى الأصوات والإشارات والرموز، وهذا ما أدى إلى ظهور علم الدلالة، الذي انصبّت الاهتمامات حوله، و لم يعد علم الدلالة في حاجة إلى من يدافع عن وجوده، أو يبرر الاهتمام به، حيث يعد المعنى الموضوع الأساسي لهذا العلم، وسعيت من خلال هذا البحث إلى الإشارة إلى الجهود والاهتمامات التي قدمها (فردينان دي سوسير) في علم الدلالة.

ومن الصعوبات التي واجهتني لإنجاز هذا البحث عدم القدرة على الحصول على ترجمة كتاب (فردينان دي سوسير): "محاضرات في الألسنية العامة"، وقد أخذت بأب سطها، ضف إلى ذلك أن اقتناء

الكتب يكلفنا الكثير من الجهد والوقت للحصول عليها، وكثرة عدد الطلبة أثناء اقتناء الكتب، لكن كل هذه الصعوبات لا تقف عائقا أمام إنجازي لهذا البحث.

ومن المصادر التي اعتمدتها لإنجاز هذا البحث كتاب "فردينان دي سوسير": (محاضرات في الألسنية العامة)، وقد أخذت بالترجمة اللبنانية (ليوسف غازي ومجيد النصر)، والترجمة التونسية (لصالح القرمادي وآخرين)، ومن المراجع "الطيب دبّة": (مبادئ اللسانيات البنوية)، "زبير دراقي": (محاضرات في اللسانيات)، "أحمد حساني": (مباحث في اللسانيات)، "أحمد مختار عمر": (علم الدلالة)، "نور الهدى لوشن": (علم الدلالة).

والمنهج الذي اعتمدته في هذا البحث هو المنهج التحليلي الوصفي.

وقد دعت طبيعة الموضوع أن يكون مقسما إلى مقدمة وفصلين، ولكل فصل مباحث:

الفصل الأول: جاء بعنوان "فردينان دي سوسير واللسانيات العامة" وضم أربعة مباحث:

المبحث الأول: وفيه قدمت تعريفا بشخصية "فردينان دي سوسير"، مولده، رحلاته، مؤلفاته ووفاته.

المبحث الثاني: فكان بعنوان "مدخل إلى اللسانيات العامة" وقد أشرت إلى المفاهيم العامة حول اللغة واللسان، وإعطاء نظرة تاريخية لعلم اللسانيات، وتحديد "فردينان دي سوسير" لموضوع اللسانيات.

المبحث الثالث: حول علاقة علم اللسانيات بمختلف العلوم الأخرى منها علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم.

المبحث الرابع: فيه عرضت أهم المدارس اللغوية اللسانية منها مدرسة جنيف، براغ، كوبنهاجن، والمدرسة الأمريكية وغيرها من المدارس.

الفصل الثاني: وجاء بعنوان "جهود فردينان دي سوسير في علم الدلالة"، وقسم إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: حول طبيعة العلامة اللغوية، وجاء كلمحة وجيزة عن نشأة علم الدلالة، أشرت فيه إلى دراسة "فردينان دي سوسير" للدلالة.

المبحث الثاني: أبرزت فيه مميزات العلامة اللغوية عند "فردينان دي سوسير" كالاعتباطية، وصفة الدال الخطية ثبوت العلامة اللغوية وتبدلها.

المبحث الثالث: قدمت فيه بعض نظريات علم الدلالة، كالنظرية الإشارية والتصورية، النظرية الاجتماعية، النظرية السلوكية، النظرية الاجتماعية السويسرية وغيرها من النظريات.

وانتهيت بخاتمة احتوت على النتائج المحصلة من خلال بحثي هذا، ثم فهرسة قائمة المصادر والمراجع التي لجأت إليها من خلال معالجتي لموضوع البحث، وأعترف أن ما أنجزته في هذا العمل لا يزال مشروعا قابلا لكثير من التوسيع والتعديل.

وفي الختام أحمد الله عز وجل وأشكره عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته على توفيقه لي في إنجاز هذا البحث المتواضع، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وما قصدت ذلك.

الفصل الأول

فردينان دي سوسير واللسانيات

الفصل الأول: فردينان دي سوسير واللسانيات:

ويتضمن:

المبحث الأول: التعريف بشخصية فردينان دي سوسير.

المبحث الثاني: مدخل إلى علم اللسانيات العامة.

المبحث الثالث: علاقة علم اللسانيات بالعلوم الأخرى.

المبحث الرابع: المدارس اللغوية.

المبحث الأول: التعريف بشخصية فردينان دي سوسير:

إن التغير في الاتجاه الذي حدث في بداية القرن العشرين هو تحول من اللسانيات التاريخية التي تهدف إلى معرفة تاريخ اللغات والكشف عن العلاقات الموجودة بينها وإعادة بناء اللغات الأولى المنقرضة إلى ما أصبح يعرف اليوم باللسانيات الآنية، التي تعنى بوصف اللغات وتحليلها كما هي موجودة في نقطة معينة من الزمن، وبالخصوص في الزمن الحاضر، وكان أول من نظر لهذا المنهج الجديد السويسري "فردينان دي سوسير".

1. مولده:

ولد "فردينان دي سوسير" (Ferdinand de Saussure) في جنيف بسويسرا في 17نوفمبر 1857، انحدر من عائلة فرنسية بروستانتية، هاجرت من لوزان خلال الحروب الدينية الفرنسية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي إلى سويسرا، وشاءت الأقدار أن يولد هذا الرجل بعد عام من مولد "سيجموند فرويد" (Sigmund Freud) مؤسس علم النفس الحديث وقبل عام من مولد "إميل دور كايم" (Emile Durkheim) مؤسس علم الاجتماع الحديث، فكان لهذا الثلاثي شأن كبير في توجيه مسار العلوم الإنسانية وإحداث ثورة على المفاهيم القديمة والمناهج الكلاسيكية[1].

2. رحلاته ومؤلفاته:

في عام 1878، وقد كان في عنفوان شبابه نشر "دي سوسير" بعيد صدور مقال حول انتظام الشواذ كتيّبه المشهور والمعنون كالآتي: مقالة حول "النظام البدائي للمصوتات لدى اللغات الهندية-الأوروبية"، ويكون بهذا العمل قد جدد نظرية النحو المقارن، حيث عالج أصعب مشكلة من مشكلاتها، معتمدا على العلاقات الداخلية أو الوظيفية، ومبتعدا عن الوصف الصوتي الذي كان مسيطرا على كل الدراسات المتعلقة بأصوات اللغة، وهنا تظهر عبقرية هذا المبتدئ بوضوح تام، فيبرز اسمه إلى الوجود، ويعلو شأنه بين المهتمين والباحثين في ميدان اللسانيات.

ثم يلحقه سنة 1980، بعمل ثانٍ أو على الأصح برسالة جامعية نال بها عن جدارة واستحقاق، وبكل براعة شهادة الدكتوراه بدرجة ممتازة من جامعة "لايبسيك"، ولقد تعرض فيها دارسا ومحللا إلى (حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية)، فأبهر بها الحاضرين ولجنة الامتحان معا، وخير دليل على ذلك

---

1 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص118.

هو ما جاء في ثناء صديقه فأقرّ عليه حين قال: "لو لم يكن متواضعا لأمكنّا عكس الأدوار بحيث يصبح هو الممتحن وهم الممتحنون".

بعد نجاحه بزمن قليل يختار العاصمة الفرنسية مستقرا له، فيحضر الدروس التي كانت بمدرسة الدراسات العليا من طرف كل من "بريال دارمستر" و"هقيت" ليعمق دراسته ومعارفه حول اللغات الهندية والإيرانية واللاتينية، ولكن سرعان ما يصير مدرسا بها، فيحتل في خريف عام 1881 منصب أستاذ محاضر للقوطية والألمانية القديمة في مكان "ميشيل بريال"، وهو لا يزال في الرابعة من عمره[1].

وفي سنة 1891، عاد إلى جنيف والتحق بجامعتها حيث أنشئ له منصب كرسي التاريخ المقارن للغات الهندوأوروبية، وظل يشغل هذا الكرسي إلى غاية سنة 1896، حيث توارى عن الأنظار بعد ذلك، ودخل في عزلة تامة وانقطع عن الإنتاج[2].

حاول بعض اللسانيين تفسير هذا الانقطاع نذكر منهم "أنطوان ميي" الذي يرى أن "دي سوسير" كان يعاني من عقدة نقص شبه مرضية هيمنت على أعماله في جنيف خلال فترة انقطاعه، وقد فسر هذه العقدة بوسواس الكمال الذي سيطر على باحث كان همه تقديم القضايا بشكل كامل ونهائي، وكذا "بنفنيست" و"دومورو" الذين يعتقدان أن "دي سوسير" قد انهار أمام إحساسه بعدم فهم الناس لأفكاره الثورية، وهناك تفسير ثالث يرى فيه بعض الباحثين أن سبب الانقطاع هو وقوع مشاكل في حياته الخاصة منعته من مواصلة التدريس، ولعل أقرب هذه التفاسير إلى الصواب هو الثاني، ذلك أن من يفهم جوهر الرسالة العلمية لمحاضرات "سوسير" يدرك أنه كان منهارا فعلا بسبب عدم فهم الناس له، لأن ما جاء به من مفاهيم ثورية كان على درجة كبيرة من الأهمية والجدة والأصالة.

وفي سنة 1907، يعود إلى التدريس بعد إلحاح شديد من تلاميذه، حيث ظل يدرس مبادئه الجديدة في اللسانيات العامة[3].

---

1 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص57.

2 – الطيب دبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، ص54.

3 – الطيب دبّه: مبادئ اللسانيات البنيوبة، ص55.

3. وفاته:

توفي "فردينان دي سوسير" سنة 1913 دون أن ينجز مشروعه الذي كان ينوي القيام به، وهو تسجيل أفكاره وملاحظاته التجديدية الثائرة في اللسانيات[1].

حيث لم تكن لديه من المؤلفات سوى أطروحته ومقالته المذكورتين آنفا وبضع مقالات في النحو المقارن جمعها ونشرها "بنفنيست" عام 1964 في كراريس "فردينان دي سوسير"[2].

فقرر اثنان من تلاميذه وهما "تشارلز بالي Charles Bally" و"ألبير سيشهاي Albert Sechehaye" جمع تلك المحاضرات وتحريرها ونشرها[3].

فهما اللذان صمما على بعث مجمل أعماله العلمية من جديد، ومع أنهما لم يكونا من تلاميذه المباشرين بل و لم تكن في حوزتهما حتى مسوداته أو مخطوطاته الشخصية، إلا أن تضافر جهود "ألبير ريد نجير" وكراريس بعض الطلاب السويسريين هي التي أتاحت لهما إخراج دروسه وتنسيقها على حسب ما كان يدور بخلد صاحبها، وهكذا تخرج إلى الوجود سنة 1916 تلك الدروس في اللسانيات العامة[4].

وعلى الرغم من أنها نشرت في ظروف خاصة فلا سرعان ما أصبحت مفتاح التأملات حول اللغة، وصارت عنصر إلهام أساسي لكل الأعمال اللسانية التي انطلقت منذ أواخر الثلث الأول من القرن العشرين.

---

1 – الطيب دبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية، ص55.

2 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص61.

3 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2007، الأردن، ص14.

4 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص61.

المبحث الثاني: مدخل إلى علم اللسانيات العامة:

اللغة ظاهرة اجتماعية ومظهر من مظاهر السلوك الإنساني، يعبر بها عن كيان أو مستوى فكري، اهتم بها اللغويون منذ العصور القديمة وكثيرا ما يشير مؤرخو البحث اللغوي الغربيون إلى اهتمامات الهنود والإغريق باللغة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، لكنهم لم يهملوا جهود العرب المسلمين في هذا المجال، حيث تمكنوا من وصف اللغة العربية ووضع قواعدها وشرح نظامها الصوتي، أدى بهم إلى تأليف المعاجم وكتب اللغة المختلفة.

1.مفاهيم عامة حول اللغة واللسان:

قال ابن جنّي معرفا اللغة: "أما حدها، فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].

فاللغة هي مجموعة من الإشارات والرموز يعبر بها كل قوم عن احتياجاتهم، وتختلف هذه اللغة من قوم إلى آخر.

ونستطيع أن نحدد للغة مفهومين إثنين: الأول المفهوم الواسع وينطبق على نظام من الإشارات، وظيفته التواصل فنقول: لغة إشارات المرور، لغة القوة...، والثاني المفهوم الضيق وهو الذي نستعمله لما نتكلم على لسن قوم ما، فنقول: اللغة العربية، اللغة السويدية، اللغة الألمانية[2].

وبين المفهومين (الواسع والضيق) يشير اللسانيون إلى القدرة الخاصة بالبشر للتواصل بواسطة الأصوات، وهو ما يسمونه اللسان البشري[3]، فاللسان في الفكر العربي هو موضوع الدرس اللغوي[4].

ونجد ذلك واضحا عند نفر من أسلافنا على اختلاف مذاهبهم العلمية، نذكر منهم:

أ.الفرابي (339هـ):

إذ يقول في هذا الشأن: "علم اللّسان ضربان أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلى ما يدل عليه شيء منها والثاني قوانين تلك الألفاظ"[5].

فمن القول يتجلى لنا أن "الفرابي" كان على وعي بطبيعة اللسان البشري باعتباره الموضوع الذي شغل الكثير من علماء عصره، خاصة وأنه العلم الذي تحكم في بنية الظاهرة اللغوية آنذاك.

---

1 – أبي الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص87.

2 – مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1998، ص7.

3 – مصطفى حركات: اللسانيات وقضايا العربية، ص7.

4 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المصطبوعات الجامعية، ص12.

5 – المرجع السابق: ص12.

ب.ابن خلدون (808هـ):

نجد مصطلح اللسان بوصفه موضوعا للدراسة العلمية شائعا ومألوفا عند ابن خلدون، إذ أنه أفرد فصلا في مقدمته عنونه "في علوم اللسان العربي"، ثم أدرج تحت هذا العنوان علم النحو، علم اللغة، علم البيان وعلم الأدب[1].

فمصطلح اللسان يدل على نظام تواصلي قائم بذاته، وهو في جوهره أصوات، والأصوات علامات متكاملة، تشكل بنية صوتية إذا اقترنت بمدلولها حققت العملية الإبلاغية عن طريق البنية التركيبية.

ج. جلال الدين السيوطي (911هـ):

فقد استعمل مصطلح (علوم اللغة) في عنوان كتابه "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" وهو كتاب لا يختلف كثيرا عن الكتب السابقة[2].

وخلاصة القول أن العلماء القدامى التقوا في جل تعاريفهم للغة وعلم اللسان معنى واحدا وهو دراسة اللغة العربية.

1 – أحمد حساني: مبادئ في اللسانيات، ص13.

2 – الطيب دبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية (دراسة تحليلية ابستمولوجية)، ص21.

2.علم اللسانيات (نظرة تاريخية):

إن اللغة باعتبارها نظام تواصلي يحقق النزعة التواصلية التي يتميز بها الإنسان عن بقية الكائنات الأخرى، أثارت انتباه المفكرين والفلاسفة منذ القدم، الأمر الذي جعلها تحظى بالكثير من الدراسات التي تهدف إلى اكتشاف جوهر هذا النظام.

أ.عند القدماء:

إن اهتمام القدماء باللغة لم ينقطع قط، خاصة المجتمعات التي كان للغاتها علاقة مباشرة بالدين[1].

فإذا تأملنا في تراث الحضارة الهندية وجدنا أن لها علاقة باللغة السنسكريتية، التي جعلت الدراسة اللغوية قطبا رئيسيا لمعرفة الفكر الهندي.

وقد نشأت هذه الدراسة وتطورت خاصة في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد على يد اللغوي الهندي المشهور "بانيني"، وأن الدافع الأساسي لهذه الدراسة هو وجود كتاب مقدس لدى الهندوراس، والذي كان يسمى "الفيدا"[2] (وهي مجموعة من الوحي في أربعة كتب لذوي العقيدة البراهمية) [3] ، ويعد مركز استقطاب للفكر اللغوي الهندي، فالحضارة الهندية اهتمت اهتماما خاصا بالظاهرة اللغوية، فأعطوا للغتهم أوصافا صوتية ونحوية في منتهى الدقة والسداد[4]، وهي من الأبحاث التي أسهمت في تطوير النهج العلمي لدراسة الأصوات في الثقافة اللسانية المعاصرة.

ب.اليونان:

من العوامل التي أحدثت اهتماما بالغا باللغة كجزء من الحياة الإنسانية هو أن اليونانيين أدركوا وجود لغات بشرية غير لغتهم[5]، ذلك أن كثيرا من اليونانيين بحارة كانوا أو جنودا أو معمرين أدى بهم الاتصال بغيرهم إلى تعلم بعض اللغات الأجنبية[6]، هذا ما جعل للحضارة اليونانية رصيدا معرفيا رائدا في مجال الدراسة اللغوية، ونتج عن اهتمامهم بهذا المجال تراكم كثير من المفاهيم التي تعد اليوم مرجعا

---

1 – شرف الدين الراجحي: مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص29.

2 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص2.

3 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص15.

4 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص15.

5 – شرف الدين الراجحي: مبادئ اللسانيات الحديث، ص29.

6 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص16.

يعتمد عليه في الفكر اللساني، ومن ذلك البحوث التي قدمها أفلاطون وأرسطو والمدارس الرواقية وغيرهم.

ج. الرومان:

تعد أن تكون الحضارة الرومانية الوارث الشرعي من الناحية التاريخية للتراث اللغوي اليوناني[1]، ولهم الفضل المجيد في إيصال التراث الإغريقي إلى بقية العالم، ويعد "فارو Varro" أول كاتب لاتيني اهتم بالموضوعات اللغوية وشرحت أراؤه اللغوية في عشرين مجلدا، عالج فيها عدة قضايا لغوية كمشكلة التشبيه أو القياس تحليله ووصفه للغة اللاتينية، وتقسيمه الثلاثي للدراسات اللغوية[2].

د. العصور الوسطى:

أصبح للغة اللاتينية دور هام في التعليم خلال القرون الوسطى، فلم تكن لغة الكتابة فقط، وإنما اللغة المستعملة في السياسة والمعرفة والثقافة، فمعرفتها ظلت أمرا ضروريا بعد أن صارت لغة أجنبية لدى كثير من الشعوب[3].

كما تعد هذه الفترة العصر الذهبي لعلماء اللغة العرب، حيث ركزت دراساتهم على القرآن الكريم، مما أدى إلى ظهور علم التفسير إضافة إلى ذلك ما ميز النشاط اللغوي العربي في ذلك الوقت ظهور الفيلولوجيا المختلفة في العالم العربي[4]، كما بلغت الدراسات النحوية ذروتها عندما ظهر سيبويه البصري بكتابه المشهور "الكتاب"، وهو من وضع أسس قواعد اللغة العربية الفصحى، واعتمد في ذلك على ما قدمه من سبقوه، كما حدد أقسام الكلام: الاسم، الفعل والحرف، وكذلك إسهاماته الواسعة في علم الأصوات بأن قدم وصفا صوتيا للحروف العربية، وغيرها من الإسهامات التي أنجزها العرب في هذا الميدان من علم اللسانيات[5].

---

1 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص3.

2 – شرف الدين الراجحي: مبادئ اللسانيات الحديث، ص32.

3 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص17.

4 – شرف الدين الراجحي: مبادئ علم اللسانيات الحديث، ص34.

5 – شرف الدين الراجحي: مبادئ علم اللسانيات التاريخية، ص35.

ه. عصر النهضة:

اتسم القرن السادس عشر بالازدهار الثقافي الناتج عن عوامل مختلفة منها انتشار الطباعة (بعد ظهورها سنة 1440 على يد "غوتنبرغ")، وذيوع التراث القديم في إيطاليا، ضف إلى ذلك أن التحمس الديني فرض على الإصلاحيين ترجمة الكتب المقدسة إلى مختلف اللغات[1].

ومن مظاهر تطور الدراسات اللسانية في القرنين السادس والسابع عشر البدء المنتظم بوصف اللغة وصفا صوتيا أوفونيتيكيا.

ومع نهاية القرن الثامن عشر تغير مسار اللسانيات، ومصدر هذا التغير هو الاكتشاف الكامل للغة الهندية القديمة السنسكريتية، وكان هذا الاكتشاف حدثا هاما في مجال البحث اللغوي للتشابه الموجود بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوروبية الأخرى، وقد ساعد هذا الاكتشاف على معرفة ما ألف العقل الإنساني في اللغة والنحو والأصوات من خلال كتاب اللغوي الهندي "بانيني" (الفيدا) [2].

و. العصر الحديث:

شهد القرن الثامن عشر تغيرات فكرية وعقلية هائلة، ففي علم اللغة أنجز الكثير من علماء هذا القرن (18) ما يعتبر الأسس الحديثة له، ومنهم "جريم Grimm"، و"ويتني Whitney"، و"ماكس مولر Max Muller"، و"سويت Sweet" وغيرهم من علماء اللغة الذين كان لهم الفضل في تشكيل فروع تخصصهم في علم اللغة وتوسيع إطارها[3].

ز. علم اللسانيات في القرن العشرين:

إن الفرق الرئيسي الواضح بين القرنين الثامن والتاسع عشر يتركز في ازدياد نمو اللسانيات الوصفية، إذا ما قورنت باللسانيات التاريخية وبلوغها مركز السيادة[4].

وقد أخذ البحث اللغوي طابعا علميا على يد اللغوي السويسري "فردينان دي سوسير (1857–1913) Ferdinand de Saussure" الذي لقب بـــ "أبي اللسانيات الحديثة".

---

1 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص23.

2 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص4.

3 – شرف الدين الراجحي: مبادئ علم اللسانيات الحديث، ص39.

4 – شرف الدين الراجحي: مبادئ علم اللسانيات الحديث، ص44.

على الرغم من أن اهتمامه كان منصبا على اللسانيات التاريخية، إلا أنه خصص فصلا للدراسات التزامنية، وقد كان لهذا الفصل أثر جذري في اللسانيات الحديثة، وقد حال الموت دون أن ينشر هذا العمل.

قام كل من "تشارلز بالي Charles Bally" و "ألبرت سيشهاي Albert Sechehaye" بجمع محاضراته ومذكراته في كتاب بعنوان "محاضرات في اللسانيات العامة" (Coure de Linguistique Générale) الذي عُدّ ثورة في اللسانيات اللغوية[1].

وقد أثار هذا الكتاب الكثير من الاهتمام لدى المفكرين والدارسين آنذاك، فقد ذكره وتحدث عنه أشهر الدارسين اللغويين في ذلك الوقت منهم "غرامون Grammont"، و"جسبرسن Jespersen"، و"سيشهاي Sechehaye"، و"ماروزو Marouzeau"، و"بلومفيلد Bloomfield" وغيرهم كثير.

وقد نشر كتابه في الثقافات الإنسانية بعد أن ترجم إلى عدة ترجمات منها الترجمة اليابانية ،الألمانية، الروسية، الإسبانية، الإنجليزية والبولونية، ولم يترجم إلى اللغة العربية إلا في بداية الثمانينات في ترجمات متعددة، أي بعد حوالي سبعين سنة من نشره[2].

وهنا نصل إلى أن اللسانيات دراسة علمية وموضوعية للظاهرة اللسانية، تسعى بمفاهيمها وإجراءاتها التطبيقية إلى إضفاء الأسس المعرفية على الفكر الإنساني، خاصة وأنها تخص وصف اللسان البشري وتحليله تحليلا علميا من أجل اكتشاف الخصائص الإنسانية في هذا اللسان.

كما نجد أن هذا العلم حظي باهتمام العلماء منذ القدم، ظهر على غراره العديد من المفكرين والعلماء جعلوا منه علما واسعا، احتل مكانة مرموقة خاصة عندما أرسى قواعده العالم السويسري "فردينان دي سوسير".

1 – محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص10.

2 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص32-33.

3."فردينان دي سوسير" واللسانيات:

تعرّف اللسانيات بأنها "الدراسة العلمية للسان"[1].

ويسمى أيضا "الألسنية وعلم اللغة"، وهو الدراسة العلمية للغة[2].

وهي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل مجتمع، وهي دراسة تتميز بالعلمية نسبة إلى العلم، وهو بوجه عام المعرفة، وبوجه خاص دراسة ذات الموضوع المحدد، وطريقة ثابتة تنتهي إلى مجموعة من القوانين، والموضوعية نسبة إلى الموضوعي، وهو مشتق من الموضوع أي كل ما يوجد في الأعيان والعالم الخارجي في مقابل العالم الداخلي أو الذات[3].

وموضوع اللسانيات هو اللسان، ومن هنا يجدر بنا في هذا المقام أن نعرف اللسان قبل أن نعرف اللسانيات، ففي المعاجم والمدونات اللغوية الكبرى وردت لفظة لسان بكثرة نذكر منها على سبيل المثال:

أ. يقول "ابن فارس 395هـ" في مادة (لسن): "اللام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو في غيره، ومن ذلك اللسان، وهو معروف، والجمع "ألسن"، فإذا كثر فهي الألسنة ويقال: لَسَنته، إذا أخذته بلسانك، قال طرفة ابن العبد:

وَإِذَا تَلْسُنُنِي أَلْسُنُهَا   إِنَّنِي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ غُمُرْ.

وقد يعبر باللسان عن الرسالة فيؤنث حينئذ، يقول الأعشى:

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لاَ أُسَرُّ بِهَا   مِنْ عَلْوَ لاَ عَجَبَ فِيهَا ولاَ سَخَرْ

واللّسنُ جودة اللسان والفصاحة، والليسن اللغة، يقال: لكل قوم لسن أي لغة.

ويقول "الراغب الأصفهاني (565هـ) في مادة لسن": "اللسان الجارحة وقوتها"[4].

كما ورد لفظ اللسان في القرآن الكريم للدلالة على النظام التواصلي المتداول بين أفراد المجتمع البشري، من ذلك قوله تعالى:

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِين»[5].

---

1 – مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، ص13.

2 – محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص9.

3 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص14.

4 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص10-11.

5 – سورة الروم: الآية 22.

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [1].

«بِلسَان عَرَبِيٍّ مُبِين» [2].

«وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الذِّي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» [3].

أما التعريف الاصطلاحي للسانيات فهي "دراسة علمية للغة بذاتها ولذاتها" [4].

أما إذا نظرنا إلى التراث الفكري العربي نجد أن أغلب الدارسين يستعملون مصطلح اللسان، ويعنون به النظام التواصلي المشترك بين أفراد المجتمع في البيئة اللغوية المتجانسة، وهم إذا استعملوا مصطلح اللغة فيعنون به لهجة معينة [5].

إن مصطلح اللسان يدل عن نظام تواصلي قائم بذاته، وهذا النظام يمتلكه كل فرد متكلم مستمع، ينتمي إلى مجتمع له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة، ويشارك أفراده في عملية الاتصال، ولهذا النظام أبعاده الصوتية والتركيبية والدلالية [6].

فموضوع اللسانيات الذي حدده "دي سوسير" يخص بالدراسة اللسان البشري كهدف في ذاته، وليس كوسيلة للحصول على معارف أخرى، فهو ينظر إليه كمنظومة الأدلة المتواضع عليها لتأدية غرض معين وهو التبليغ [7].

ومن كل ما سبق يتضح لنا أن اللسانيات أو الدراسة اللسانية تسعى إلى معرفة أسرار اللسان من حيث هو ظاهرة إنسانية عامة في الوجود البشري، كما يهدف إلى اكتشاف القوانين التي تحكم بنيته الجوهرية والبحث عن السمات الصوتية والتركيبية والدلالية الخاصة به للتمكن من تحديد الخصائص العملية التلفظية، وحصر العوائق العضوية والنفسية والاجتماعية التي تعوق سبيلها.

---

1 – سورة إبراهيم: الآية 4.

2 – سورة الشعراء: الآية 195.

3 – سورة النحل: الآية 103.

4 – زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص8.

5 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص12.

6 – المرجع السابق: ص12.

7 – سليم بابا عمر، باني عميري: اللسانيات العامة الميسرة، علم التراكيب، 1990، الجزائر، ص17.

هذه هي مجمل الآراء التي نادى بها "دي سوسير"، نعم لقد وجه اللسانيات المعاصرة إلى اللسانيات العامة، وحتى لو لم يكن الوحيد الذي حول مجرى الدراسات اللغوية، إذ هناك آخرون ولنذكر من بينهم "وتنه، بودوان، دي كورتنيه، ميه وبريال"، فقد كان الأوحد الذي عرف كيف يؤثر بفكره الخصب ومنهجيته المحكمة في اللسانيين وغير اللسانيين.

كما أن اللسانيات غزت بفضله جل الميادين الأخرى، حيث صار منهاجها هو المطبق على العديد من العلوم الإنسانية كالأنثروبولوجيا وعلم النفس التحليلي وغيرها من العلوم المجددة نحو الفونولوجيا وعلم الدلالة أو المستحدثة نحو السيميولوجيا وعلمي الاجتماع والنفس اللغويين.

فما أعظم وما أخصب عطاء هذا الرجل، وما أحوجنا اليوم إلى تقويم دروسه على ضوء ما أضاف المتأخرون من أفكار وتحليلات كان لها الأثر الحسن في تطوير الدراسات اللسانية.

المبحث الثالث: علاقة علم اللسانيات بالعلوم الأخرى:

تشكل مظاهر اللسان البشري كافة مادة الألسنية سواء تعلق الأمر بالشعوب البدائية أم الحضارية، بالحقب القديمة أم بحقب الانحطاط.

وفيما يخص مهمة الألسنية إذن هي:

1. تقديم الوصف والتاريخ لمجموع اللغات وهذا يعني سرد تاريخ الأسر اللغوية، وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها ما أمكنها ذلك.
2. البحث عن القوى الموجودة في اللغات كافة وبطريقة شمولية متواصلة، ثم استخلاص القوانين التي يمكن أن ترد إليها كل ظواهر التاريخ الخاصة.
3. تحديد نفسها والاعتراف بنفسها[1].

أما عن علاقة علم اللسانيات بالعلوم الأخرى، فيرى "دي سوسير" أن لها روابط قوية ببعضها، وتستمد معطيات منها، وتمدها بمعطيات جديدة، ومن ذلك علم الأنتروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها من العلوم التي استفادت كثيرا من اللسانيات.

1. علاقة علم اللسانيات بعلم الاجتماع:

إن اللغة نشاط اجتماعي، أي ظاهرة اجتماعية لأنها نتاج علاقات اجتماعية، ومن هنا جاء اهتمام علم الاجتماع بها، فأصبحت اللغة موضوعا مشتركا بين اللسان وعلم الاجتماع[2].

وكما أكد "دي سوسير" على الطابع الاجتماعي للسان، حيث هو نظام متكامل من العلامات الدالة التي تتحقق في الواقع بواسطة الإنجاز الفعلي للكلام في البيئة اللغوية المتجانسة[3].

فاللسان في نظره إذن راسب اجتماعي لجماعة بشرية لها خصوصياتها الثقافية والحضارية، التي تفرض ألوانا من السلوك اللغوي، الذي يكشف عن الواقع الاجتماعي.

---

1 – دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م، ص17.

2 – عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، ص89.

3 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص20.

أما عن التصور الاجتماعي للظاهرة اللغوية، فقد استمده "دي سوسير" من العالم الاجتماعي "دور كايم" الذي تنبه إلى خصوصيات الظاهرة الاجتماعية، حيث أمست اللغة ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر[1].

فإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية تؤدي وظيفة اجتماعية، واللسان نتاج اجتماعي، فإنه لا توجد فوارق بين اللسانيات وعلم الاجتماع، حيث أن كلا منهما يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية وأثرها، والنظم الاجتماعية في الظواهر اللغوية، باعتبار أن اللغة تكشف عن الواقع الاجتماعي.

أما عن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية والذي يتقاطع مع علم اللسانيات الذي يدرس اللسان بوصفه ظاهرة اجتماعية[2].

وهكذا نشأ ما يسمى بعلم اللسان الاجتماعي (Socio Linguisties)، وهو العلم الذي تقام فيه الأبحاث على أن اللغة سلوك اجتماعي يفصح عن الكثير من القيم الاجتماعية والعلاقات الشخصية، وفهم البناء الاجتماعي.

كما أن علم اللسان الاجتماعي يربط بين علم اللسان وعلم الاجتماع، لأن من أهداف البحث فيه الوصول إلى العوامل الاجتماعية التي تفسر كثيرا من الظواهر اللغوية[3].

فاللغة وسيلة للكشف عن المجتمع، ويتجلى ذلك من معرفة لغة الشخص التي تبين مستواه الاجتماعي والتعليمي، وحالته الاقتصادية، ومن هذا كله نستطيع أن نُلم بأحوال المجتمع وفهمه من خلال معرفتنا للغته.

كما أنه من مهام البحث اللغوي متابعة المتكلم في مختلف مواقفه الحياتية، وذلك للتعرف على مدى اختلاف أسلوبه الذي يتخاطب به والألفاظ التي يجب أن يختارها وفقا لاختلاف المواقف، كما يمكنا من التعرف على ما تعكسه اللغة من تفاوت بين طبقات المجتمع، وما يتبع التغير الاجتماعي من تغير في اللغة[4].

---

1 – المرجع السابق: ص20.

2 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص21.

3 – عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، ص89.

4 – المرجع السابق: ص90.

إن البشر يسعون دائما إلى التكيف لغويا مع المواقف الاجتماعية فيربطون بين الصيغ اللغوية التي تتناسب مع المواقف الاجتماعية كالأفراح والأحزان، الاستقبال والوداع، كما أن التفاوت بين طبقات المجتمع يرجع إلى إخفاء بعض الكلمات، وبروز غيرها، فكل طائفة تختار طرقها في التعبير.

2. علاقة علم اللسانيات بعلم النفس:

إذا كانت اللغة مظهر من مظاهر السلوك الإنساني يعبر بها عن كيان أو مستوى فكري[1]، فإن علم النفس علم يدرس الظاهرة النفسية بكل أبعادها، حين يتناول اللغة بوصفها ظاهرة نفسية[2].

فعلم النفس إذن بوصفه للغة يتقاطع منهجيا مع علم اللسانيات، مشكلا بهذا التقاطع ما يسمى بعلم النفس اللساني، وعلم اللسان ينصبُّ البحث فيه على وصف جوانب اللغة الصوتية والصرفية والنحوية بهدف تميزها وتحليلها، وعلم النفس يتناول جانبا آخر من اللغة وهو البحث عن كيفية إنتاج اللغة وفهمها وإدراكها جيدا.

وعليه فإن علم اللسان النفسي (Psycho Linguisti) موضوع يبحث في العلاقة بين النفس البشرية واللغة بشكل عام، ودُعِّم هذا المنهج بظهور أفكار "واطسون" مؤسس علم النفس السلوكي، الذي رأى بأن أي إجراء عملي يتناول الظاهرة النفسية بمعزل عن المثير والاستجابة، فأصبحت اللغة بناء على هذا التصور سلوكا ظاهريا.

فالخضوع الرئيس لهذا العلم هو تحديد العوامل النفسية التي تؤثر في الأداء اللغوي[3]، وقد بلورت هذه الأفكار خاصة بعد ظهور النظرية التوليدية التحويلية على يد "تشومسكي"[4]، ومثالا على هذا فقد اقترح بأن علم اللغة هو أفضل فرع لعلم النفس المعرفي[5].

ورأى "تشومسكي" أن عقل الطفل يحتوي على خصائص فطرية، أو ما ينعت بالملكة الفطرية، التي تجعله قادرا على تعلم أي لغة إنسانية، والتي من خلالها يستطيع تكوين قواعد لغته، وذلك عن طريق امتلاكه لمجموعة محددة من القواعد النحوية يستطيع من خلالها تكوين عدد غير محدود من الجمل وإرساء قواعد للغته.

---

1 – عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، ص90.

2 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص23.

3 – عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، ص90.

4 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص25.

5 – صلاح حسين: اللسانيات وعلم اللغة المعاصر وعلاقته بالعلوم الإنسانية، دار الكتاب الحديث، 2008، ص20.

3. علاقة علم اللسانيات بالأنتروبولوجيا:

إذا كان علماء الاجتماع قد ربطوا اللغة بالمجتمع، وعلماء النفس ربطوها بالنفس، فإن الأنتروبولوجيين يربطونها بالثقافة، أي أنها وسيلة لفهم الثقافة.

إن الرباط الذي يربط علم الأنتروبولوجيا رباط تاريخي، ويرجع ذلك إلى رغبة اللغويين في محاولة فهم لغات الشعوب البدائية[1]، وواضح في الاختلاف الحاصل بين اللغات الغربية واللغات الهندوأوروبية في طرق عدة.

فدراسة الألسنة الخاصة بالجماعات البشرية من حيث الخصائص الإنسانية للمجتمعات تبحث في الصلة التي تربط اللغة بالخصائص الثقافية للإنسان في مجتمع معين[2]، فهي تنعتُ بالصلة بين ثقافة المجتمع واللغة التي تُعدّ من الموضوعات التي اهتم بها علماء الأنتروبولوجيا الذين يرون أن مفهوم لفظة (ثقافة) ما هو إلا حصيلة كلية للعادات والتقاليد، ونمط الحياة السائد لطائفة اجتماعية لها ميزاتها وخصوصياتها الحضارية.

كما أن النمط الثقافي لأي مجموعة بشرية يرتبط ارتباطا وثيقا بالنموذج اللغوي المميز لتلك الجماعة، مما يجعل تقطيع المفاهيم وتوزيعها في ثقافة من الثقافات يختلف باختلاف اللغات[3]، حيث يُستدلُّ من خلال اللغة على ثقافة الشعوب وأجناسها.

كما أنه لا يمكن أن تؤدّي النصوص معناها الحقيقي والدقيق دون معرفة الحال التي كان عليه المتكلم عند النطق بها[4]، وهو التطور الذي يخدم نظرية المعنى السياقية عند اللغوي الإنجليزي "فيرث".

وتقوم نظريته على سياق الحال أي الظروف والملابسات التي تصاحب النص اللغوي[5]، حيث لا يمكننا دونها الإتيان بمعاني المفردات والكلمات والجمل، كما اهتم كذلك بدراسة اللغات، واستنبطوا خصائصها، كعدم قدرتها على التعميم والتجريد، وعاجزة عن التعبير الدقيق ومعرّضة للتغيير، وقد اهتم بهذا الجانب الدكتور "عبده الراجحي".

وفي الأخير يمكننا أن نقول أن النموذج اللغوي له صلة وطيدة بالنماذج الثقافية الخاصة بمجموعة بشرية معينة، ومن هذا فإن اللغة عامل أساسي في إضفاء الطابع الثقافي المميز على المجتمع لأن العلاقات

---

1 – صلاح حسين: اللسانيات وعلم اللغة المعاصر وعلاقته بالعلوم الإنسانية، ص21.

2 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص18.

3 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص18.

4 – عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، ص92.

5 – عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، ص92.

الاجتماعية لا تقوم إلا بوساطة النموذج اللغوي الذي يؤدّي إلى انتقال النمط الثقافي عبر الأجيال، لأن اللغة جزءًا من الوعي الثقافي للجماعة.

4. علاقة علم اللسانيات بالفلسفة:

إذا كانت العلاقة بين علم اللغة والأنتروبولوجيا قد ضعفت في السنوات الأخيرة، فإن العلاقة بين علم اللغة والفلسفة قد تدعّمت في الآونة الأخيرة، حيث أعاد اللغويون اهتمامهم مؤخرا بمسائل المعنى بعد أن مرت سنوات استبعدوا فيها دراسة المعنى[1].

فقد حدث تجاهل لمعنى اللغات في عصور مضت لم يكن لها منهج ملائم لدراسة مسائل المعنى، والحكم على أن أي جملة قد يكون لها معنى مثل جملة (شرب عليّ عصير البرتقال)، وأن جملة (شرب عليّ البترين) بأنها غير ملائمة.

5. علاقة علم اللسانيات بالجغرافيا:

يقول "فردينان دي سوسير": «إن من يباشر مسألة علاقة الظاهرة بالمكان يخرج من مجال اللسانيات الداخلية، ويدخل في مجال اللسانيات الخارجية»[2].

حيث أن الاهتمامات بالعوامل الجغرافية أثناء التعامل مع الظاهرة اللغوية يُعدُّ نزعة قديمة بقدم البحوث اللغوية، فالدارسون العرب القدامى أسّسوا تحرياتهم اللغوية على العامل الجغرافي، حيث اندرجت هذه الإجراءات في البحث في اللسانيات الخارجية.

إن تأسيس البحث في اللسانيات الخارجية على المكان يجد مبررا له في تنوع الحدث اللغوي، واختلافه من منطقة إلى أخرى، حيث يقول "دي سوسير": «لئن كانت الاختلافات اللغوية الناجمة عن الزمان غالبا ما تغيب عن الملاحظ، فإن الاختلافات اللغوية بين مكان وآخر تبرز مباشرة للعيان (...) إن هذه المقارنة بالذات هي التي تجعل شعبا من الشعوب يتفطن إلى أن له لسانا خاصا»[3].

فقد حاول الباحثون ضبط الاستعمالات اللغوية بكل مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية، وتصنيفها حسب التوزيع الجغرافي للمصدر البشري، ويتم ذلك عادة بواسطة الخرائط والأطاليس التي تبين الاختلافات اللهجية للمجموعة البشرية الواحدة.

---

1 – صلاح حسين: اللسانيات وعلم اللغة المعاصر، ص22.

2 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص25.

3 – المرجع السابق: ص25-26.

6. علاقة علم اللسانيات بالمعارف الأخرى:

اللسانيات من حيث هي علم من العلوم الإنسانية، والبنيوية من حيث هي منهج يبحث في الظواهر ويدرسها، قد ولّدتا نزعة في ممارسة نصوصه مذهبا جديدا أطلق عليه اسم الأسلوبيات.

والأسلوبيات تبحث في الظاهرة الأسلوبية من خلال النصوص الأدبية باصطناع المنهج اللساني[1]، فهي علم حديث يرمي إلى تخليص النص الأدبي من الأحكام المعيارية، وذلك باصطناع منهج موضوعي تحلّل على أساسه هذه النصوص لتبرز القيم الجمالية لها، انطلاقا من تفكيك الظواهر اللغوية والبلاغية للنص.

لقد أنجبت لسانيات "دي سوسير" أسلوبيات "تشارل بالي"، فأخصبا معا شعريات "جاكسون" و"تودوروف"[2]، وهي مدارس وتيارات واسعة استمدت أفكارها من اللسانيات وتعدُّ الأسلوبيات اليوم من أكثر فروع اللسانيات.

كما أن الشعريات جزء لا يتجزأ من علم اللسانيات، وهي العلم الشامل الذي يبحث في البنيات اللسانية[3].

والشعريات كما هو معروف علم يهتم بالأثر الأدبي الذي يسمح بوصف الخصائص العامة للأدب، ومعرفة الطرائق الكلامية المميزة له، وهناك من يرى أنها علم موضوعه الشعر، حيث تعد الشعرية المعرفة الشمولية بالمبادئ العامة للشعر، باعتبار الشعر نموذجا للأدب، وذهب آخرون إلى القول بأن الشعريات في معانيها بلاغة جديدة.

وخلاصة ما نصل إليه القول بأن: اللسانيات هي الثورة المنهجية لمختلف العلوم والمعارف التي يُقرّ بها العصر، وأن المعرفة الإنسانية مدينة لها بفضل كبير في ترقية مناهج بحثها، لأنها استحوذت على كثير من العلوم والفنون القديمة منها والحديثة، كعلم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة والأنتروبولوجيا، وغيرها من العلوم والمعارف.

1 – رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007، إربد، الأردن، ص1.

2 – رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، ص53.

3 – المرجع السابق: ص71.

المبحث الرابع: المدارس اللغوية:

1. مدرسة جنيف:

ضمت هذه المدرسة آراء "فردينان دي سوسير" والأفكار الجديدة أو شبه الجديدة التي جاء بها، وتطرق إليها في كتابه "دروس في الألسنية العامة".

ومن القضايا التي أثارها في كتابه التفريق بين اللسان واللغة، والتفريق بينها وبين الكلام مشيرا في الوقت ذاته إلى المنهج في دراسة اللغة مفرقا بين النظر الداخلي والخارجي والوصفي والمعياري وعلاقات الحضور والغياب أو الاستحضار، والعلاقة بين الدال والمدلول، وطبيعة العلامة اللغوية[1].

فقد ضبط "دي سوسير" مجموعة من المواقف الواضحة إزاء الدراسة اللغوية، فكل قضية مما ذكرنا سابقا تنطوي على الشيء وما يقابله، وقد عرفت أفكاره هذه بكلمة مختصرة دالة، وهي "ثنائيات سوسير"، وسنتناول بعض هذه الثنائيات وأثرها في الفكر اللغوي.

أ. اللغة واللسان:

يقول "دي سوسير": "لا ينبغي الخلط بين اللغة واللسان، فما اللغة إلا جزء محدد منه، بل عنصر أساسي، وهي في نفس الوقت نتاج اجتماعي لملكة اللسان"[2]، فاللغة في نظره ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة تنتج من الملكة اللغوية، واللسان هو جزء معين متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع، وهو اجتماعي ومكتسب، ويشكل نظاما متعارفا عليه، داخل جماعة إنسانية محددة.

ب. اللغة والكلام:

كما فرق أيضا بين اللغة والكلام على أساس أن اللغة شيء مستقل عن المتكلم الذي يستعملها فينتج كلاما فرديا شخصيا، أما الكلام فإنه فعل كلامي ملموس، ونشاط شخصي مراقب، يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد[3]، فتمييزه بين اللغة والكلام هو تمييز بين الاجتماعي والفردي والدراسة اللسانية تستهدف اللغة باعتبارها مجموعة عادات لسانية، أو نظام متضمن في ذهن المتكلم، وغير قابلة للتغيير، أما الكلام فهو التجسيد الفردي لهذا النظام من طرف المتكلم.

---

1 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص15.

2 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص123.

3 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص17.

ج. الداخلي والخارجي:

يرى "دي سوسير" في دراسة اللغة من خلال الكلام خطوة تحيلنا حتما لمزيد إلى الدخول في عالمها الداخلي، والتحديق فيها من الداخل تحديقا يغني معرفتنا بالنظام اللغوي[1].

فالدراسة اللغوية هنا هي الاهتمام بالبنية اللغوية أي النظر إلى اللغة في ذاتها وإلى العناصر والعلاقات الداخلية التي تؤلف النظام اللغوي، والصورة التشبيهية التي يبسط بها "دس سوسير" فكرته هي لعبة الشطرنج، فنقل هذه اللعبة من فارس إلى أوروبا أو استبدال قطعها الخشبية بقطع من العاج لا يغير من الأمور شيئا، لأنها عوامل خارجة عن نظام اللعبة، أما الإنقاص أو الزيادة في القطع فيغير الشيء الكثير لأنه يمس قواعد اللعبة.

د. الوصفي والمعياري (التزامني مقابل التعاقبي):

إن غرض الألسنية التزامنية العام، هو تشييد المبادئ الأساسية لكل منظومة لغوية، أي العوامل التكوينية لكل حالة لغوية[2]، ويعني بذلك وصف اللغة في حالة ثبوت، أو في نقطة معينة من الزمن، أما التعاقب فهو الدراسة التي تجري عبر مراحل زمنية متتالية[3].

وتتمثل في التعقب التاريخي للغة أو رصد التطورات الصوتية أو التركيبية أو الدلالية التي تحدث في لغة معينة.

ه. العلاقة بين الدال والمدلول:

هذه الفكرة قادت "سوسير" إلى التساؤل حول طبيعة الإشارة (العلامة) اللغوية، فهي في رأيه علامة ذات طبيعة ثنائية، مادية يمثلها الصوت المسموع، ونفسية يمثلها المعنى الذي يرتسم في الذهن أو يستدعي في العقل والذهن عند سماع الصوت[4]، فالعلامة اللغوية عنده تتكون من الدال أو الصورة السمعية، والمدلول أو المفهوم، فالعلامة اللسانية (بيت) مثلا صورتها السمعية هي التتابع الصوتي (ب.ي.ت)، أما مفهومها وهو كل ما يدركه مستعمل اللغة من معاني متعلقة بهذه الصورة (بناء، مأوى، مخدع...)، والعلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية وليست طبيعية، ففكرة أخت لا تربطها أي علاقة

---

1 – المرجع السابق: ص17.

2 – دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، ص123.

3 – أحمد محمد قدور: مبادئ في اللسانيات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996، دمشق، سوريا، ص19.

4 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص19.

داخلية بالتتابع الصوتي (أ.خ.ت) الذي يمثل الدال، ويكون الربط بين الدال والمدلول في هذه الحالة ضرورية يقتضيها التواصل الاجتماعي، فالصلة بينهما صلة اعتباطية ضرورية.

2. مدرسة براغ (حلقة براغ):

من المدارس اللغوية التي تأثرت بثنائيات "دي سوسير" وآرائه في اللغة المدروسة المعروفة باسم "حلقة براغ"، التي ظهرت عام 1926م[1].

وكان من بين نتائج التأثير العميق لآراء "سوسير" تزايد حركية الدراسة اللغوية، وذلك على يد بعض اللغويين الذين تتلمذوا له، إما بطريقة مباشرة أو بعد الاطلاع عن أفكاره.

تكونت في هذه الحلقة دراسات لغوية بفضل نشاطات مجموعة من اللغويين الروس والتشيكيين، وكان المنظر الأول لهذه المجموعة "نيكولاي تروبسكوي" (1890–1938).

شملت نشاطات هذه المدرسة المجالات التالية: الصوتيات الوظيفية الآنية، والصوتيات الوظيفية التاريخية والتحليل الوظيفي والعروضي، وتصنيف التضاد الفونولوجي، والأسلوبية اللسانية الوظيفية ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون[2]، حيث انصبت اهتمام هذه الحلقة على الدراسة الفنولوجية (الصوتية)، ففرقوا بين الفونيم ككيان صوتي له قيمة تمييزية في البنية اللغوية، وبين الصوت الذي يمثل تنوعا في رتبة هذه الوحدة.

وقد طبع اتجاههم اللغوي بالطابع السويسري، تبنوا فيه المنهج الوصفي بدلا من المعياري أو التاريخي، في دراسة اللغات، وقد غلب عليهم أمران هما: الاهتمام بالصوتيات ثم الاهتمام بالوظائف اللغوية، أو المهام التي تؤديها اللغة[3]، وذلك تبعا لنظرة "سوسير" الذي يفرق بين اللغة كنظام قائم، وبين الكلام كاستعمال لهذا النظام، أي اهتمامه بالعالم الداخلي للغة.

أطلق مؤسسو مدرسة "براغ" على منهجهم الخاص بالدراسة الصوتية اسم الصوتيات الوظيفية، ويتولى هذا الفرع من اللسانيات الحديثة دراسة المعنى الوظيفي للنمط الصوتي، ضمن نظام اللغة الشامل، واستخراج كل الفونيمات، وضبط خصائصها، وتحديد كيفية توزيع ألفوناتها[4]، حيث ميز هؤلاء اللغويون بين علم أصوات اللغة (الفونيتيك الذي يتعلق بالتحليل الفيزيائي والفيزيولوجي لأصوات اللغة، وبين الفونولوجيا (علم أصوات اللغة الوظيفي)، الذي يهتم بتحديد المميزات الصوتية.

---

1 – المرجع السابق: ص21.

2 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

3 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص22.

4 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص137.

ومن أبرز رجال هذه الحلقة "رومان جاكسون"، الذي أكد على ضرورة مراعاة التطور الصوتي، ومحاولة دراسة التحول الحاصل في الفونيمات، كما انشغل باكتساب اللغة وأصواتها عند الأطفال، وقارنها بفقدان القدرة على التعبير بالكلام وفهمه، أو ما يسمى الأفازيا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أعمال حلقة براغ كانت أميل إلى العمل التطبيقي، بحيث حاولت توظيف مبادئ النظرية الألسنية في مجالات تطبيقية كمسألة الاتصال واكتساب اللغة والفونولوجيا، وأمراض الكلام، وقد كان لأعمال هذه المدرسة أثرها العميق في تطور اللسانيات والتأسيس للاتجاه الوظيفي.

3. مدرسة كوبنهاجن:

عرفت هذه المدرسة بجماعة كوبنهاجن، وهم نخبة من اللسانيين الذين أسهموا بشكل فعال في تطور الدرس اللساني في الربع الأول من القرن العشرين[1].

تأسست هذه الحلقة بالدانمارك بفضل نشاطات ثلة من اللغويين من بينهم "جاسبرسون" (1890-1943)، صاحب كتاب "اللغة طبيعتها وتطورها وأصلها"، إلى جانب "بدرسن" الذي اهتم بالتأريخ لعلم اللغة في كتابه علم اللغة في القرن التاسع عشر.

ويرجع الفضل في تأسيس مدرسة كوبنهاجن إلى اللساني الدانماركي "لويس يلمسلف" (1899-1965)، صاحب النظرية البنيوية التحليلية الشهيرة[2]، واطلع على كتاب "فردينان دي سوسير" مرارا، وذكر في واحدة من مقالاته أنه أكثر كتاب تأثر به في مجال علم اللغة[3]، إذ أن من أهم ما ميز آراء "يلمسلف" هو الاعتبار الذي يوليه للشكل في البنية اللغوية، حيث استبدل كلمة (التعبير) بالدال عند "دي سوسير" و(المضمون) بالمدلول، فالعلامة اللغوية عنده ليست دالا يؤدي إلى مدلول، وإنما تعبير يدل على مضمون[4]، وتحدد الوحدة اللسانية عند "يلمسلف" بعلاقتها مع الوحدات الأخرى داخل النسق، ولا تكون لها قيمة في ذاتها، ولذلك فإن الدراسة اللسانية تتولى دراسة العلاقة بين الوحدات، كالعلاقة بين الصفة والموصوف مثلا، وهذا ما جعل هذه النظرية تتسم بنوع من التجريد، الذي لا يخفي في ثناياه تأثره بمنهج علم الرياضيات والأخذ بتعميماته، فعمله أقرب إلى الصياغة الرياضية الصورية التي تكون فيها العلاقة بين أ و ب مقياسا لتحديد أ أو يكون وجود العنصر ص مرتبطا بوجود العنصر س، مثال ذلك في اللغة أن وجود حرف الجر يستلزم وجود اسم مجرور، فاللغة على حد تعبيره منبه، لها قواعد تحدد إمكانية أو عدم إمكانية استعمال عنصر من العناصر، ومع ذلك فإن في أفكاره ترسيخ للمنهج البنيوي الذي يعد اللغة منظومة متعلقة على ذاتها وقد كان لأفكاره دور في توجيه المدارس اللسانية بعده، نحو اعتماد ملاحظة الجانب الشكلي منطلقا لتحليل العلامات اللسانية وقد تجسد ذلك بصفة خاصة في أعمال المدرسة الأمريكية.

---

1 – عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2002، سلطنة عمان، ص231.

2 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص157.

3 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص25.

4 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص26.

4. مدرسة لندن:

تختلف المدرسة اللغوية الإنجليزية عن غيرها من المدارس في أنها لم تكتف بالتأثر الإيجابي بآراء "فردينان دي سوسير"، وإنما صاغت تأثرها به في إطار الرد على بعض مقولاته الأساسية، وفي مقدمتها تأكيده أن الكلام منتج فردي لا صلة له بالجانب الاجتماعي.

ويرجع هذا الموقف لدى مدرسة لندن لأصول قديمة، فقد كان الألماني "هامبولت" تناول هذه الفكرة، مؤكدا أن اللغة لا تعدو أن تكون انعكاسا للعامل الاجتماعي والثقافي والنفسي، وهي تمثل لهذه العناصر مجتمعة، وقد انتقلت هذه الفكرة إلى لندن وتداولها اللغويون، كما تأثرت بالعالم اللغوي الفرنسي "برايال"، والأمريكي "سابير" الذي يرى أن دراسة اللغة في معزل عن السياق الثقافي والحضاري، لا يؤدي إلى شيء فيما يتعلق بالمستوى الدلالي[1]، هذه الفكرة وجدت صداها عند اللغوي "فيرث" أستاذ اللسانيات بجامعة لندن.

وقد أعجب بهذه الفكرة إعجابا شديدا، فاللغة عنده ترتبط ترابطا عضويا بالمحيط الاجتماعي[2]، أي أنه رفض بناء فكره اللغوي على خلاف ما ذهب إليه "دي سوسير" أي ما يسمى بالثنائيات، ذلك أنه وجد صعوبة في تحقيقها من الناحية العملية، فقد كان شديد الحرص على وصف اللغة، واعتبارها نشاط معنوي في سياق اجتماعي معين.

ونستطيع القول أن ما ميز مدرسة لندن بشكل عام والبريطانية بشكل خاص، واهتمامه بعدة مجالات لا زالت تستقطب اهتمام العديد من الأخصائيين ألا وهي المكون الاجتماعي، وسياق الموقف، ونظرية الدلالة ومنهج تحليل اللغة، والتحليل الفونولوجي، والأنظمة المتعددة بالإضافة إلى تطوير فنيات الترجمة وأساليب تدريس اللغات الوطنية والأجنبية[3].

إن اهتمام "فيرث" بفكرة سياق الحال المرتبط بالعوامل المحيطة بالحدث اللغوي، والسياق اللغوي المتعلق بالمنحنى التركيبي والبنيوي والصوتي للغة، وتمييزه بينهما يكون الحدث اللغوي من خلالها موزعا بين اختصاصات مختلفة، هذا التمييز مكنه من توظيف الوصف البنيوي للوصول إلى المعنى، كما قدم منهجا متكاملا لدراسة اللغة يأخذ بعين الاهتمام جميع الجوانب المتعلقة بالحدث اللغوي، ويؤسس

---

1 – المرجع السابق: ص28.

2 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 173.

3 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 186.

للسانيات بنيوية تحيد عن مبدأ الفصل بين اللغة والكلام، وتعترف بالتداخل الحاصل بينهما، حفاظا على الصلة الوثيقة بين البنية اللغوية والعوامل المحيطة بالحدث اللغوي.

5. المدرسة الأمريكية (الوصفية):

لئن كان القرن التاسع عشر هيمنت عليه اللسانيات التاريخية والمقارنة، فإن القرن العشرين سيطرت عليه اللسانيات الوصفية[1].

ظهر هذا النمط من اللسانيات في أوروبا وأمريكا بشكل عام، حيث اختلفت اللسانيات الأمريكية عن الأوروبية، وانطلقت في دراستها من علم الأنتروبولوجيا، وعلى الدراسات التي اهتمت بتدوين وتصنيف اللغات المتناثرة في الولايات المتحدة، خشية انقراض هذه اللغات، إذن فالمدرسة الأمريكية ركزت في دراستها على اللغة المنطوقة، وترتكز على خصوصيات كل لغة على انفراد، أي دراسة هذه اللغات كما هي مستعملة في مكان وزمان محددين.

وقد أرسى دعائم هذه المدرسة كل من "فرانز بواز" و"أدوارد سابير" و"ليونارد بلومفيلد"، وقد أوضح "فرانز بواز" في كتابه (دليل اللغات الهندو-أمريكية) الذي صدر سنة 1911، ما ميز اللغات الهندو-أمريكية عن غيرها من القواعد النحوية[2]، وتوصل إلى أن درجة التنوع بين اللغات الإنسانية واسعة، خاصة وأن هذه المدرسة اتجهت منذ بدايتها إلى النحو أكثر من أي شيء آخر.

وعلى الرغم من أهمية ما قدمه "بواز" إلا أن الأب الحقيقي لعلم اللغة الأمريكي في القرن العشرين هو "إدوارد سابير"[3]، حيث اجتذبه المنهج اللساني الأنثروبولوجي، فاتجه إلى الدراسة الحقلية للغات الهندية الأمريكية، إضافة إلى اهتمامه باللغة، اهتم كذلك بالأدب والفن والموسيقى، ولم ينشر إلا كتابا واحدا بعنوان (اللغة)، وقد أكد "سابير" على دراسة الأشكال اللغوية[4]، أي دراستها دراسة تحليلية، دون إضافة أنماط من لغات أخرى، لأن هذه الأشكال تعد من أهم مظاهر اللغة، كما أكد على أن كل لغة تملك من الأصوات والمفردات ما يكفيها لتلبية حاجاتها.

وبعد اِثني عشر عاما من صدور كتاب "سابير"، صدر كتاب آخر بالعنوان نفسه لـــ"بلومفيلد"، حيث انطلق من دراسة الأصوات، معرفا اللغة بأنها منطوق ناتج عن منبه أو مثير يؤدي إلى استجابة منطوقة[5]، ويبسط هذا المفهوم في قصة "جاك وجيل"، والتي من خلالها أكد "بلومفيلد" على أن الكلام

1 – المرجع السابق: ص187.

2 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص31.

3 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص32.

4 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص190.

5 – إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص33.

ما هو إلا سلوك ناتج عن استجابة لمثير خارجي، وسأفصل رأي "بلومفيلد" في الفصل الثاني من بحثي هذا.

الفصل الثاني

جهود فردينان دي سوسير في علم الدلالة

الفصل الثاني: جهود فردينان دي سوسير في علم الدلالة:

ويتضمن:

المبحث الأول: طبيعة العلامة اللغوية.

المبحث الثاني: مميزات العلامة اللغوية عند فردينان دي سوسير.

المبحث الثالث: نظريات اللغويين في علم الدلالة.

المبحث الأول: طبيعة العلامة اللغوية:

1. لمحة عن علم الدلالة:

يعد علم الدلالة (Sémantique) من أحدث فروع اللسانيات الحديثة، ويعنى بدراسة الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية.

وقد ظهر الاهتمام بالدراسات الدلالية في أوروبا الغربية، بادئ دي بدء في المحاضرات التي كان يلقيها "ريسيغ" (RECIG) في هال (Halle) حوالي عام 1825 [1]، وأول من استعمل مصطلح علم الدلالة هو اللغوي الفرنسي "ميشال بريال" (Michel Breal)، وكان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر، وقد تناوله أول مرة في دراسة علمية عن المعنى صدرت عام 1797 بعنوان (محاولات في علم الدلالة) (Essais de Sémantique)[2]، وقد كان لمبادرة "بريال" دور في ميلاد فرع جديد لدراسة المعنى له خاصية استقلالية، ومنذ وقته والعلم يعرف على أنه العلم أو النظرية التي تعنى بالدلالة.

وعلم الدلالة كغيره من العلوم شهد مراحل عدة، فالدلالة في مراحلها الأولى كانت تتناول ضمن اهتمامات لغوية متنوعة غير مستقلة بذاتها، وظهرت أولياتها على يد "بريال" و"ماكس مولر" (Max Muller)، ثم ظهر السويدي "أدولف نورو" (Adolf Noreau)، وبعده "كيرستوف نيروب" (Kristofer Nyrop)، و"كاس تافستن" (Cus Tafsten)، وظهر "ستيفن أولمان" (S.Ulman)[3]، الذي أثرى الدراسات الدلالية بعدة كتب.

ولا يخلو اليوم كتاب من كتب علم اللغة من الكلام عن الدلالة، وعلم الدلالة، بل إن علماء هذا الشأن لم يكتفوا بالفصول والأبواب، وإنما تخطوا ذلك إلى أن يفردوهما بمؤلفات برمتها.

أما عن الاهتمام بقضايا المعنى، فهو قديم قدم الإنسان، وما اخترع الإنسان اللغة إلا ليعبر بها عن أغراضه، ولئن عرف الإنسان بأنه حيوان ناطق، إن نطقه ما كان ليكون أهم خواصه النوعية لو لم يكن نطقا دالا، ولو لم يكن وسيلة الإنسان إلى الفهم والإفهام، وإلى الإبلاغ والتبليغ، أما عن العلاقة بين الكلمة ومدلولها فقد شغلت الكثير من المفكرين في كل زمان، واتخذت لنفسها أحيانا صور القضايا

---

1 – أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص239.

2 – نور الهدى لوشن: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، 2006، الإسكندرية، ص15.

3 – ينظر: نور الهدى لوشن: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص15-16.

الدينية، وأحيانا أخرى المجادلات الأدبية أو اللغوية وسنعرض آراء الفلاسفة اليونان والهنود وعلماء اللغة العربية وغيرهم فيما يتعلق بهذه الظاهرة:

أ. عند اليونانيين:

إن ما لفت انتباه فلاسفة اليونان فكرة إيحاء الأصوات مفردة أو مركبة لمدلولات معينة، وكانت لهم مواقفهم المختلفة، فقد حاولوا التصدي لهذا الموضوع بما للكلمة من سحر واضح في سلوك الناس.

يرى "أفلاطون" وأستاذه "سقراط" أن الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها صلة طبيعية ذاتية أي أنها تثير في الذهن مباشرة مدلولاتها المخصصة لها، ولم يستطيعوا إثبات هذه الصلة، وهذا "ديموقريطس" يرفض هذا الرأي، ويبرهن على أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله مكتسبة وباتفاق الناس الذين يستعملونها[1]، وذلك أنهم يدركون أن الصلة بين اللفظ ومدلوله قد تنقطع نتيجة لتطور أصوات اللغة، ولم يستطيعوا إثبات هذه الصلة، وذهبوا إلى القول بأن تلك الصلة الطبيعية تكون سهلة واضحة المعالم منذ نشأة هذه الأصوات، ومع مرور الزمن تتطور الألفاظ ولم يعد من السهل عليهم تفسير هذه الصلة وتعليلها.

أما "أرسطو" فقد بين ثلاثة: أولها الأشياء في العالم الخارجي، ثانيها التصورات تساوي المعاني والثالثة أن الأصوات تساوي الرموز أو الكلمات[2]، فهو يرى أن الصلة بين اللفظ والمعنى اصطلاحية يتواضع الناس عليها في مجتمع ما، أي ما تثيره هذه الألفاظ في الذهن هو ما تعارف عليه الناس.

ب. عند الهنود:

اهتم الهنود بموضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى وربما كانوا أول من تطرق لهذه القضية وقالوا بأنها تضم أقساما ثلاثة: وهي الكلمة والإدراك والمحتوى.

فهم يرون أن الكلمة مركبة من وحدات صوتية، فالشيء المحسوس مثلا (بقرة) ينظر إليها على أنها نوعا من الحيوانات له أعضاء معينة، أما الإدراك أو التصور فهو ربط بين اللفظ والشيء المدلول عليه[3].

وكانت لهم آراء مختلفة فيما إذا كان الدال والمدلول أمرين متباينين ولا علاقة بينهما، وكيف يمكن للفظ أن يدل على فكرة معينة، فنجد بعضهم يرفض هذه الفكرة قائلا بأن كل شيء يتصور مقترنا بالوحدة الكلامية الخاصة به أو الدالة عليه، ولا يمكنها الانفصال عن بعضها، في حين يذهب بعضهم

---

1 – ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ليبيا، ص196.

2 – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، 1985، القاهرة، ص13.

3 – محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، ص197.

إلى القول بأن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وطبيعية، وآخرون يرون أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة لزومية، كالعلاقة بين النار والدخان، وفريق آخر يرفض فكرة وجود علاقة طبيعية بين اللفظ والمعنى وأن الصلة بينهما مجرد علاقة حادثة، وتعود لحكمة إلهية[1]، فهذه الآراء في مجملها لا تزال محل خلاف بين أصحاب هذا الرأي واليونان في رفض العلاقة بين اللفظ والمعنى، فالفريق الأول يرى بأنها من صنع إلهي، والثاني (اليونان) يرون بأنها عملية اجتماعية اصطلاحية.

ج. العرب القدامى:

برزت مسألة صلة الأصوات بمعانيها أمام علماء العربية منذ أن بدءوا بالمشاركة العلمية، فقد مال أكثر اللغويين إلى القول بالصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، لما رأوا في اللغة العربية من ميزات قلما تجمع في غيرها من اللغات.

لقد كتبوا عن المجاز في القرآن الكريم ومعاني الغريب فيه، كما اهتموا بإنتاج المعاجم سواء أكانت معاجم المعاني كالألفاظ الكتابية "للهمداني"، ومتخير الألفاظ "لابن مارس"، أم معاجم الألفاظ كالصحاح "للجوهري" (...)، اهتموا بترتيب الكلمات في المعاجم على حسب المخارج الصوتية وطريقة التقاليب مثل كتاب (العين) "للخليل بن أحمد الفراهيدي"، وترتيب الكلمات ترتيبا أبجديا بحسب الأصل الأخير أو الأول للكلمة مثل (أساس البلاغة) "للزمخشري"، كما رتبوا الكلمات بحسب الموضوعات مثل (فقه اللغة) "للثعالبي"[2]، ومع أن معظم اللغويين العرب لا يأخذون بهذا الرأي، نرى أن كثيرا منهم يربطون في مؤلفاتهم بين الألفاظ ومدلولاتها ارتباطا وثيقا، يكاد يشبه الصلة الذاتية، ولعل السر في هذا الاتجاه هو اعتزازهم بتلك الألفاظ العربية وإعجابهم بها، وحرصهم على الكشف على أسرارها وخباياها.

---

1 – ينظر: المرجع السابق: ص198–199.

2 – ينظر: نور الهدى لوشن: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص14.

الدلالة عند فردينان دي سوسير:

إن مفهوم الدلالة في علم اللغة الحديث، وفي التفكير اللساني الغربي على وجه الخصوص قد رفعته دروس "فردينان دي سوسير"، وقبل الحديث عن مفهوم الدلالة، لابد من الإشارة إلى مفهوم الرمز عند "دي سوسير"، فعلم الرموز Semiology = Semioties ، والمصطلح بالفرنسية Semiology (السيميولوجيا) أو علم العلامات كما اقترحه "دي سوسير"، وهو مشتق من الكلمة اليونانية Semion ومعناها علامة[1]، وهو علم يهتم بدراسة جميع أنواع الرموز (الدوال) بما فيها الرموز اللغوية[2]، وعلم الرموز يدرسها جميعا، إذن فهو أعم من اللغة، وهي جزء منه، ويرى "دي سوسير" أن القوانين التي اكتشفتها السيميولوجيا قابلة لأن تطبق على اللغة، ومن هذا نقول بأن الدلالة مرتبطة بالرموز اللغوية، لما لها من أهمية بالغة في حياة الإنسان، أما عن مفهوم الدلالة عند "دي سوسير" فهي عبارة عن علاقة تربط الدال بالمدلول داخل العلامة اللسانية، ومن خواص هذه العلاقة أن يكون بين الدال والمدلول كمال الاتصال[3]، وللحديث عن علم الدلالة وموضوعه علينا أن نبدأ بتحديد العلاقة الموجودة بين علم اللغة وعلم الدلالة، فعلم الدلالة يعدّ فرعا من فروع علم اللغة (اللسانيات)، لأنه العلم الذي يهتم بدراسة المعنى وأن يكون علم اللغة فرعا من فروع علم الدلالة أو علم العلامات، لغوية كانت أو غير لغوية (كلمات، حركات، إشارات مرور...)، وهذا ما ذهب إليه "دي سوسير"، فإذا قلنا بأن علم الدلالة فرع من اللسانيات، فعلينا النظر في مستويات اللغة أو البنية اللغوية، حيث قسم علماء اللغة المحدثون الدرس اللغوي إلى أربعة مستويات: المستوى الصوتي والمستوى النحوي والمستوى الصرفي والمستوى الدلالي[4]، وهي مستويات لا يمكنها الانفصال عن بعضها البعض، ويحتل المستوى الدلالي أعلى منزلة، لأن الهدف منه هو إيصال الرسائل اللغوية عن طريق ما يسبقها من رموز صوتية، وصيغ صرفية، ومن هذا يبدو لنا أن علم الدلالة فرع من فروع علم اللغة، أما القول بأن علم اللغة فرع من علم الدلالة، وهو أهم عناصرها سواء كانت دلالة لغوية أو غير لغوية، وأن أداء العناصر اللغوية يؤدي أساسا إلى فهم علاقة الدال بالمدلول وهي حاضرة دائما في كل فروع الدلالة.

---

1 – فريد عوض حيدر: علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية) مكتبة الآداب، 42 ميدان الأوبرا، القاهرة، ص11.

2 – أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص14.

3 – نور الهدى لوشن: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص27.

4 – فريد عوض حيدر: علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية) ، ص11.

ويظهر لنا بوضوح موضوع علم الدلالة هو الأدلة بشكل عام والدليل اللغوي بشكل خاص، وعلاقة الدوال بمدلولاتها[1]، أما عن غايته وهي أنه علم مثل أي علم آخر يسعى إلى تحقيق الاستقلالية بهدف الإسهام في تحقيق ترقية الحياة الإنسانية في جميع المجالات وتحقيق عملية الاتصال والتعاون والتفاهم المشترك وضبط المصطلحات والمفاهيم في جميع العلوم لاسيما في العلوم الحديثة ووسائل الاتصال.

لكن "دي سوسير" يتصور الدليل اللغوي كيانا ذهنيا مكونا من دال (صورة صوتية) ومدلول (صورة ذهنية).

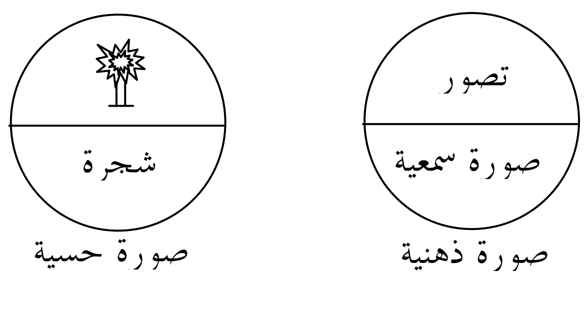
أ. **الدال** (Le Signifiant):

حسب مفهوم "دي سوسير" يتمثل في الصورة السمعية، أو مجموع الأصوات المعبرة، أو فلنقل اللفظ، ولا يشترط أن يكون اللفظ منطوقا دائما على وجه الحقيقة، وإلا تعذرت عملية التفكير أساسها لأن فيها يستدعي الإنسان صورا سمعية غير منطوقة هي انطباعات الأصوات في النفس.

ب. **المدلول** (Le Signifié):

يتمثل في الصورة الذهنية، أو ما يرتسم في الذهن بطريقة توهم في ظاهرها بالآلية، بحكم التكرار من جهة، وبفعل حصول التعزيز لذلك التصور من جهة ثانية، ذلك التعزيز كلما قويت درجته ازدادت إمكانية تحرر الإنسان من سلطة الأشياء التي تحيطه من كل جانب، بحيث أنه أثناء استدعاء اللفظ إلى الذهن إن كان مناجيا، أو إلى السمع كان جاهزا أو محاورا، استحضر في اللحظة نفسها تقريبا، ويوضح الرسم التالي ما قصده "دي سوسير":

العلامة اللغوية=



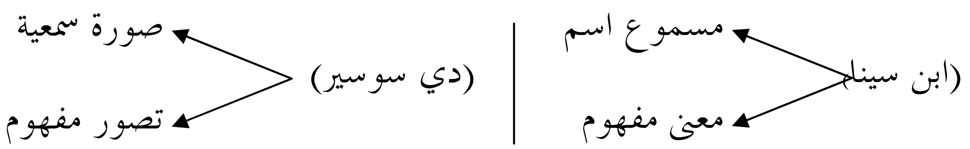
فالدارسون على اختلاف اتجاهاتهم العلمية من فلاسفة ولغويين اهتموا بطبيعة العلامة من حيث هي شيء محسوس في الواقع، عن شيء مجرد غائب عن الأعيان، يقول ابن سينا" في هذا الشأن: "إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأذى عنها إلى النفس فترتسم فيها ارتساما

1 – شاكر سالم: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية 1992، الجزائر، ص4.

ثابتا"[1]، وهو ما أقره "دي سوسير" بأن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم بل تصورا بصورة سمعية (...) فإن الصفة السمعية لصورنا السمعية تبدو جيدا إذا بوسعنا أن نتحدث إلى أنفسنا وأن نستظهر مقطعا شعريا من غير تحريك الشفتين أو اللسان[2]، فقد تبدو عبارة الصورة السمعية ضيقة جدا بل محدودة، فإلى جانب تمثل أصوات الكلمة هناك تمثل لنطقها ونعني بذلك الصورة العقلية لفعل النطق، لكن اللغة عند "دي سوسير" شيء مأخوذ من الخارج، فالصورة السمعية إذن هي التمثيل الطبيعي للكلمة.

وكما عرفنا سابقا، فعند "دي سوسير" هناك دال (لفظ) وهناك مدلول (معنى)، وهما وجهان لورقة واحدة، ولا يمكن الفصل بينهما، وتحليل الدال يؤدي إلى تحليل المدلول، وللتأكيد على أن الدلالة تتم من الارتباط الذهني بين الدال والمدلول، فقد أوضح تلاميذ "سوسير" هذه العلاقة من خلال ما يعرف "بمربع سوسير للدلالة"، حيث نجده يحصر عناصر الدلالة في الدال والمدلول، وأهمل الموضوع، وهو الشيء أو المرجع الذي تحيل إليه العلاقة الدلالية وهو في ذلك يلتقي في هذه الثنائية مع "ابن سينا والغزالي".

فإذا ما تأملنا تصور "ابن سينا" لدلالة اللفظ، فإننا نجده يتوافق تماما مع تصور "دي سوسير" للعلامة، ويمكننا ملاحظة ذلك من المقابلة الآتية:



استطاع "ابن سينا" أن يتوصل إلى فهم عملية التصور الذهني للأشياء فهما صحيحا، فالعلامة في نظره ثنائية المبنى تتكون من مسموع اسم معنى، وبهذا المفهوم يلغي من مفهوم العلامة الواقع الخارجي أو المرجع، وذلك ما فعله "دي سوسير"[3]، لكن آراء "دي سوسير" لا تصل إلى مستوى الدقة التي بلغها "ابن سينا" و"الغزالي" في دراستهما لهذا الموضوع، فقد تعرض للنقد من طرف العديد من الباحثين، ذلك لأنه أهمل الأعيان والموضوعات، ولم يلتفت إلى دراستها، فنجد فئة قليلة من الدارسين الأقدمين

1 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص142.

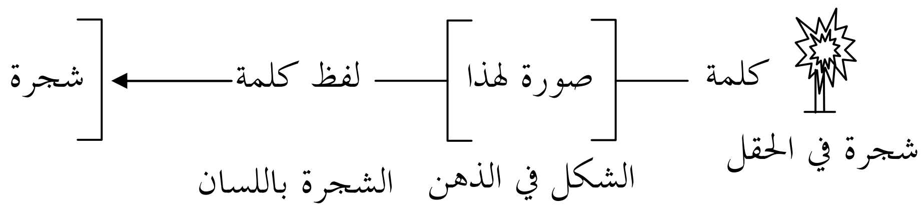
2 – دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، ص88.

3 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص143.

تعد المرجع طرفا أساسيا في العلامة، ونفهم من كلام "ابن سينا" حين قال: "وأما دلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا تختلف لا الدال ولا المدلول عليه، إن كان غير مختلف فإن الدال مختلف، ولا كما في الدلالة بين اللفظ والكتاب، فإن الدال ولا المدلول عليه جميعا يختلفان، إن الإنسان لديه القدرة على التصور الذهني والتي تمثل قاسما مشتركا بين البشر، وهذا التصور يتفق مع الشيء، أو يتفق مع ما يوجد في الأعيان، فالأشياء هي الأخرى لا تختلف، ولكن الاختلاف يقع بين الألفاظ التي قد تعبر عن معنى واحد في النفس لا مختلف، كما أن أشكال الكتابة التي ترمز إلى لفظ واحد تختلف، فالصوت أو اللفظ والرسم الكتابي يختلفان بينما المقصود أو ما يقع في النفس لا يختلف وكذلك الشيء لا يختلف".

ونجد "الغزالي" هو الآخر تناول مراحل تصور الشيء حتى انتهى إلى مرحلة الكتابة، فيقول: "إن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان"[1].

فما أرشدنا إليه "الغزالي" أنه أدرك أهمية اللغة الإنسانية، التي تعكس قدرة الإنسان العقلية، فرأى أن العلامة كيان متكامل يتكون من أربعة أطراف أساسية، الموجود في العيان، الموجود في الأذهان، الموجود في الألفاظ والموجود في الكتابة، ويمكننا تمثيلها بالشكل التالي:



ومن هذا أصبح التصور لعالم الأشياء أساس النظرية الدلالية، التي قال بها (ريتشاردز Ritchards) و(أوجدن Ogden) في كتابهما (معنى المعنى) (The Meaning of Meaning) الذي صدر عام 1923[2]، وقد اعترضا بشدة على ما قال به "دي سوسير" في مسألة إقصاء المرجع، حيث جعل الأشياء غير اللغوية تمثل الركن الثالث في مثلثهما الشهير، فالرمز يقابل الدال عند "دي سوسير" ولكن "أوجدن

---

1 – أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص143.

2 – محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى اللغوي الدلالي) دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، القاهرة، ص51.

وريتشاردز" يستخدمان مصطلح العلامة مرادفا لمصطلح الرمز، والفكرة تقابل المدلول عند "دي سوسير"، والمشار إليه "المرجع" غير موجود عنده، بينما الفكرة ترتبط بخطين متصلين بالمرجع والرمز معا، لأنها هي العلاقة التي تربط بينهما، وهما في هذا الجانب يتفقان مع "دي سوسير" الذي يربط الفكرة والرمز، ويرى أن المدلول يثير في الذهن الدال، فالفكرة هي التي تستحضر الرمز.

المبحث الثاني: مميزات العلامة اللغوية عند فرديان دي سوسير:

1. الاعتباطية (Arbitraire):

صاغ اللساني الشهير "فردينان دي سوسير" نظرية حول العلاقة الدال والمدلول، ورأى بأن ما يربط بينهما ليس سوى اصطلاح غير معلل، أي اعتباطي، وببساطة أكثر، يمكن القول أن العلامة اللغوية اعتباطية، ذلك أن العلامة حسب تعريفنا السابق هي مجموع ما يربط الدال بالمدلول، ورد عن "دي سوسير": "(...) المبنية على اعتباطية العلامة، وفي الواقع، إن كل وسيلة تعبير تسود في مجتمع ما، إنما تنهض مبدئيا على عادة جماعية أو على اتفاق، وهذا يرقى للشيء نفسه"[1]، فلا يستطيع الإنسان أن يتعرف إلى المعنى الذي تشير إليه الأصوات عن طريق إيحائها، وإنما يستطيع الوصول إليه عن طريق الاتفاق المتعارف عليه في البيئة الواحدة أو بين أفراد الجماعة اللغوية، وأوضح أن الاعتباطية تجعل أمر هذا الصوت يشير إلى ذلك المعنى متروكا للفرد كيفما يشاء لأن العلامة اللغوية التي تستعمل في المجتمع يتحقق لها الذّيوع فتغدو مفروضة على أفراد الجماعة عن طريق الاتفاق الضمني بينهم، والحجة على ذلك أن الإشارات الصوتية التي يتكون منها لفظ "قمر" (ق.م.ر) يمكن أن نجدها في ألفاظ أخرى مثل "قلم" (ق.ل.م)، وبالتالي لا تعبر هذه الإشارات عن هوية الأشياء فلا شيء يجمع القمر بالقلم، ويعطي سوسير" مثالا عن لفظ (أخت)، فلا نجد أي صلة بين سلسلة الأصوات (أ.خ.ت) والصورة التي تحصل في الذهن، إذ بإمكاننا استبدالها بإشارات صوتية أخرى دون أن تتغير الصورة كأن نقول بالفرنسية (Soeur) والإنجليزية (Sister).

فالعلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية لأن المعنى الواحد يمكن أن نعبر عنه بألفاظ مختلفة مثل البحر وهو اليم، والسيف وهو الحسام، والقط وهو الهر، الأسد هو الضرغام والليث، وملك الغابة... إلخ.

ولو كانت الأشياء هي التي تفرض الاسم بحكم طبيعتها لكانت لغة البشر واحدة، ولما تعددت فاللسان العربي غير اللسان الفرنسي، وغير اللسان الألماني، فالصلة بينهما ضرورة تقتضيها العلاقة التواصلية المتعارف عليها في المجتمع.

إن مجمل الآراء التي توصل إليها "سوسير" تعرضت للنقد من قبل الدارسين، فهناك من يقول بأن العلاقة بين الدال والمدلول ضرورية، فنجد "عباد بن سليمان الصميري" يقول: "بأن الألفاظ تدل على المعاني بذواتها"[2].

---

1 – ينظر: دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، ص90.

2 – فايز الدّاية: علم الدلالة العربي، ص19.

فالمحققون كما يقول "السيوطي" في (المزهر) متوقفون في الكل إلا في مذهب "عباد"، ودليل ذلك أن اللفظ لو دل بالذات، لفهم كل واحد منهم كل اللغات لعدم اختلاف الدلالات الذاتية، وكذلك "إميل بنيفينيست" الذي يرى بأن العلاقة بين الدال والمدلول ضرورية، ويرى أن الاعتباط يقع بين الرمز (العلامة) بحديه الدال والمدلول، وما يشير إليه من أشياء من جهة أخرى.

وعلى ضوء هذا التفسير ذهب "إميل بنيفينيست" (E.Bennevenist) إلى القول: "إن العلاقة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية، بل هي على عكس ذلك علاقة ضرورية (...) فكلاهما نقشا في ذهني، وكل منهما يستحضر الآخر في كل الظروف، ثمة اتحاد وثيق إلى درجة أن المفهوم "ثور" هو بمثابة روح الصورة الصوتية (ث.و.ر)" [1]، فالعلاقة بين الدال والمدلول حسب ما ورد في قوله ضرورية وذاتية إلى درجة أنه يستحيل الفصل بينهما أي أن الصورة الصوتية والتمثل الذهني هما في الواقع وجهان لأمر واحد ويشكلان معا المحتوى والحجة على ذلك أن العلامة اللسانية بنية موحدة يتحد فيها الدال والمدلول بدون هذا الاتحاد تفقد العلامة اللسانية هذه الخاصية، كل كلمة تدل على معنى وتستحضر صورها في الذهن، وكلما كررنا نفس الكلمة ظهرت نفس الصورة مثل لفظ (ثور) الذي يستحضر في الذهن صورة هذا الحيوان العشبي ولا يستحضر صورة حيوان آخر، إذ أصبح اللفظ يطابق ذات الشيء في العالم الخارجي عندما يقول مسطرة فلأنها تسطّر، ومحفظة لأنها تحفظ الأدوات، وكذلك للفظ مربع لأنه يتكون من أربعة أضلاع، ودائرة لأنها دائرية، فكل لفظ يعكس طبيعة الشيء ويعبر عن هويته، و لم يوضع بطريقة عشوائية، عندما يستقبل الذهن كلمة مجهولة يرفضها باعتبارها غريبة لا تحدث أي تصور، ولا توحي بأي معنى، فلو كانت العلاقة بينهما اعتباطية لا يستحدث كل فرد لغة خاصة يتحدث بها، لكن الأمر لا يجري على هذا النحو، الكل يضطر إلى التحدث بلغة القوم، واستعمال نفس الإشارات الصوتية حتى يتم التواصل بينهم.

ومما زاد من تأكيد "فردينان دي سوسير" على أهمية الاعتباطية في العلامة اللسانية والعمل على تحديد مفهومها في تأسيس الدرس اللساني لأنها أثارت لديه عند مناقشتها أبعادا ومناهج عدة منها:

- إن مبدأ الاعتباطية يقوم على مبدأ المواضعة، بل هو قرينه الذي لا يفارقه[2]، ويقصد بالمواضعة كل ما يتفق عليه أفراد المجتمع الناطقين بلسان واحد على كل ما يستعملونه من وحدات وعبارات متداولة

1 - ينظر: خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، ط1، 2009، الجزائر، ص90.

2 - الطيّب دبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية، ص31.

بينهم، ويرى "دي سوسير" أن للبعد التواصلي أهمية، حيث أنه يمنح مبدأ الاعتباطية صفة سيميائية، وهو وأنصاره يحصرون موضوع السيميائيات في العلامة التواصلية.

- إنه يساعد على ثبات اللغة[1]، فـ"دي سوسير" يرى أن اللغة ثابتة لأن لها صلة بالفرد ومتغيرة لأن لها صلة بالجماعة اللغوية.
- كما يتجلى أثرها كذلك على مستوى قيمة العلامة، حيث تكون اللغة واسطة بين الصوت والفكر[2]، حيث يرى "دي سوسير" أن لها نظامها الباطني الخاص المستقل على بنية العقل رغم أنه يصر على أنها حقائق متمركزة في الدماغ، وبالتالي فهي معقولة.

كما أشار "دي سوسير" في موضع آخر لمفهوم الاعتباطية يبدو أشمل مما جاء به سابقا، وهو أن الاعتباطية لا تمس جميع الوحدات اللسانية في لغة ما، ومن هنا يتبين أن للاعتباطية صورتين اِثنتين: الأولى مطلقة حيث تتجرد العلاقة بين الدال والمدلول من كل الروابط، والثانية نسبية حيث تحتفظ العلامة باعتباطيتها، واحتمال وجود علاقة سببية بين الدال والمدلول.

---

1 - الطيّب دبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية، ص82.

2 - الطيّب دبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية، ص82.

2. الخطية (Linraire):

من تعريفنا السابق للدال فإنه ذا طبيعة سمعية، ولكونه كذلك فإنه يمتد امتدادا في الزمن، فهو بمثابة التيار المتدفق اللا منقطع في زمن الخطاب، وفي فضاء الكتابة المتتابع، وورد عن "دي سوسير": "(...) إن عناصر الدوال السمعية تظهر الواحد بعد الآخر مشكلة في ذلك سلسلة، وما أن تتمثل هذه العناصر كتابة، وما أن تستبدل التعاقد الزمني للعلامات الخطية بالخط الفضائي حتى تبدو هذه الصفة مباشرة"[1]، ومعنى ذلك أن العمليات الذهنية المزامنة لأدنى حدث لغوي وكأنها تأخذ مسلكا مسطحا يستجيب بالأحرى إلى تمثيله في الفضاء.

يقول "دي سوسير": "فإذا ما نبرنا مقطعا صوتيا فإنه يبدو كأننا نضع على النقطة نفسها عناصر دلالية مختلفة (...)، إذ أن المقطع الصوتي ونبرته لا يشكلان إلا فعلا نطقيا واحدا"[2] فيما أن الركيزة المادية للدليل اللغوي هي الصوت، فإنه عند إحداث الأصوات يتسلسل عبر الزمن في خط واحد أفقي يسمى مدرج الكلام، فمثلا كلمة (خرج) من خلال نطقها تأتي حروفها متسلسلة (خ+ر+ج)، وإذا ما غيرنا في تسلسل هذه الحروف (ج+ر+ح)، فإنه حتما يؤدي إلى تغير المعنى.

إن المبدأ الخطي إجباري، فاللغة تمر عبر خط معين، وبالتالي فاللغة ليست مجموعة وحدات وإنما بنية على الأقل تشكل خطا (الخط هو مجموعة من النقاط المتتالية)، وكل تركيب يشكل خطا من الخطوط، فالسلسلة الخطية مهمة، وعلينا أن نستغلها في تركيب أفكارنا.

1 – دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، ص92.

2 – دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، ص92.

3. ثبوت العلامة اللغوية:

يقول "دي سوسير" في هذا الشأن: "إذا تبدّى الدال عنصرا حر الانتقاء بالقياس إلى الفكرة التي يمثلها، فهو حقيقة على نقيض ذلك، إذ أنه ليس حرا، بل هو مفروض، وذلك نسبة إلى الفئة التي تستعمله، إن المجموعة الاجتماعية لا تستشار في هذا الجانب، ذلك أنه لا يمكن تبديل الدال الذي تنتقيه اللغة بغيره..." [1]، فإذا كان اختيار الدال يتم بحرية مطلقة بالنسبة إلى المفهوم، فهو ليس ذلك بالنسبة للجماعة التي تستعمله في كل زمن، ذلك أن الدال يمثل جزء من مجموع ما يرثه الفرد وينتقل من جيل لآخر، حيث يصعب على الأفراد تقدير هذا الميراث، ومهما نظرنا إلى الزمن، فإن اللغة تبقى دائما ميراثا للحقبة السابقة، وفي الواقع فلكل مجتمع من المجتمعات السائدة لغته الخاصة والمستعملة من طرف الجماعة المتكلمة، ونجد "دي سوسير" في هذه النقطة يقول: "ومن الواقع ليس هنا من مجتمع إلا ويعرف اللغة وأنها نتاج إرث الأجيال السابقة، كما لابد من تناولها بما هي عليه"[2].

فاللغة ملك لمجموع الجماعة التي تستعمله، ولكن هذه اللغة تتحقق فعلا عن طريق العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد، فتؤدي إلى التواصل وتحقيق الكلام الفردي بين بني البشر والكلام الذي ينطق به الأفراد بالفعل ينسجم من حيث المبدأ مع المعايير التي تفرضها اللغة على المجتمع، وكما عرفنا سابقا أن العلامة اللغوية اعتباطية، فإن الحالات التي تطرأ على اللغة ما هي إلا نتاج عوامل تاريخية، هذه العوامل لها أن تقدم تفسيرات عن ثبوت العلامة اللغوية، وذلك بوضع تفسيرات لذلك، فهو بإمكانه أن يعدل في القوانين القائمة والموروثة من وقت إلى آخر، فهذا الطرح يقودنا إلى أن نضع اللغة في واقعها الاجتماعي، يقول "دي سوسير": "ويجرنا هذا الاعتراض إلى وضع اللغة في إطارها الاجتماعي وإلى طرح المسألة كما تطرح بالنسبة إلى سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى، فأن نعرف كيف تتوارث الأجيال بعضها عن بعض سائر المؤسسات الاجتماعية"[3]، فهو يرى بتقدير ما تتمتع به هذه المؤسسات من حرية، ذلك أن للمجتمع حرية العمل فيها، ولا يقصد أن الحرية قائمة بالفعل في السلوك اللغوي، بدليل أن اللغة عنده ثابتة، وليس للفرد إزاءها أي إرادة واعية في تغييرها، وإنما هي حرية مبدئية تنشأ من فكرة الاعتباطية ذاتها، ذلك أن الاتفاق الاعتباطي الذي يقوم على انتقاء العلامة السببية بين الدال والمدلول يقتضي الاختيار الحر الذي لا تتصور له وجودا إلا عند وضع العلامة في منشئها وقبل أن

---

1 – المصدر السابق: ص93.

2 – دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، ص93.

3 – دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ص117.

تصبح دولة بين الناس في الاستعمال، لأنها إن دخلت حيز الاستعمال أصبحت ملك الجماعة اللغوية التي تحولها إلى لغة جامدة طبيعيا، لا يملك الفرد المتكلم إزاءها إلا التقليد والإتباع.

ومن الحجج التي قدمها "دي سوسير" للإجابة عما قاله آنفا هو أن تغير اللغة لا علاقة له بتعاقب الأجيال جيل عن جيل، ذلك أن الأجيال لا تتراكم بعضها على بعض، بل هي متداخلة متشابكة وكل جيل يتضمن أفرادا تتفاوت أعمارهم، لذلك يستحيل تغير اللغة لأنها تلقن للطفل في كل طور من حياته، ومنهم من يرى أن عدم فهم الناس لقوانين اللغة التي يتكلمون بها ويستعملونها في حياتهم اليومية ينفي القدرة لديهم على تغييرها، لهذا نجد أن لكل شعب لغته الخاصة به والتي تلقاها.

يرى "دي سوسير" أن كل ما سبق ذكره هام لكنه ليس ملائما للمقام الذي نحن بصدد دراسته، فهو يفصل مسائل أخرى يرى بأنها الأنفذ إلى ما نحن بدراسته ويشمل ما قلناه سابقا ومنها:

أ. اعتباطية الدليل:

وكما عرفنا سابقا أن اعتباطية العلامة اللغوية تجعل اللغة في أمان من كل تغيير يطرأ عليها ومهما كانت درجة وعي الإنسان بقوانينها، فإنه يبقى عاجزا عن مناقشة تلك القوانين وتفسيرها.

ب. وفرة الدلائل اللازمة لتكوين أية لغة من اللغات:

يرى "دي سوسير" في هذا الجانب أن اللغة تتكون من عدة أنظمة كتابية تحتوي على عدة دلالات تكفي لإنشاء لغات عديدة يقول: "فأنت تستطيع على أقصى تقدير إن شئت أن تعوض نظاما من أنظمة الكتابة يتكون من ثلاثين أو أربعين حرفا بنظام آخر"[1]، من قوله نستطيع القول أن الملكة اللغوية يمتلكها الإنسان تكفيه قدر المستطاع أن يستبدل نظاما كلاميا إلى نظام أوسع وأشمل، ومحاولة تفسير هذين النظامين، ومعالجتها دون المساس في دلالات اللغة الواسعة.

ج. تشعب النظام اللغوي تشعبا مفرطا:

بما أن اللغة نظام من العلامات والرموز، من هذا يتبين أنها ليست اعتباطية تماما ذلك أنها متفاوتة الاستعمال بين البشر، وهذا ما جعلهم عاجزين على إلحاق أي تغيير بها، ذلك أن اللغة مجموعة الأنظمة المعقدة التي لا يستطيع الإنسان الوصول إلى معانيها وفهمها إلا بأعمال الفكر حتى يتسنى له إدراكها، حتى وإن كان استعمالهم لهذه اللغة بشكل مستمر فلا يمكنه الوصول إلى التغيير فيها إلا إذا كان من طرف المختصين والنحاة، ويرى "دي سوسير" أن جميع محاولاتهم التي سعوا فيها إلى تغيير اللغة باءت بالفشل التام.

1 – المصدر السابق: ص119.

د. مقاومة المجموعة وممانعتها لكل تجديد لغوي:

يرى "دي سوسير" أن اللغة قضية تهم جميع أفراد المجتمع اللغوي في كل فتراتها، فمن الاستعمال الواسع لها وانتشارها في كل المجتمعات تشكل أشياء يقوم بها الأفراد من الاستعمال اليومي لها، ومن هذا فهي عرضة لتأثير كل فرد فيها ومن هذا يستحيل أن يحدث انقلاب أو تغير فيها، كما أن للزمن دور في استقرار اللغة وعدم تغيرها، لأنها تحتل مكانا ما في الزمن ومرتبطة به، لأنها وكما قلنا آنفا نتاج ورثناه عن أسلافنا.

4. تبدل العلامة اللغوية:

إن للزمن الأثر الواضح الذي يكفل استمرار اللغة، كما له الأثر كذلك في تغيرها وتبدلها، حيث تجري عليها تعديلات، ويتم تبديل العلامة اللغوية بشكل سريع، ومن هذا يرى "دي سوسير" أنه بإمكاننا أن ننسب صفتي الثبات والتبدل للعلامة اللغوية في نفس الوقت، ذلك أن لكل منهما صلة وثيقة بالأخرى، فهما متماسكين والعلامة اللغوية حسب "دي سوسير" قابلة للتحول لأنها متواصلة عبر الزمن.

يجب أن لا نخطئ في فهم معنى التغير، فقد تمس هذه التغيرات الدال سواء كانت تغيرات صوتية وغيرها، وما يلحق المدلول من تغيرات معنوية، ومهما كانت عوامل التغيير هذه تعمل معا أو كل واحدة على حدى، فإنها لا تؤثر في العلامة القائمة بين الدال والمدلول، ويضرب "دي سوسير" أمثلة كثيرة في هذا المجال من ذلك تغير الكلمة اللاتينية (necare) ومعناها باللغة العربية (قتل)، وفي اللغة الفرنسية أصبحت (noyer) ومعناها (أغرق) [1]، فمن هذا التحول نجد أن الصورة السمعية لهذه الكلمة والتصور الذهني لها قد تغيرا معا، ومعنى ذلك أن الرابط الذي يربط الفكرة بالدال قد تلاشى، ونجده يعطي مثالا كذلك في اللغة الألمانية القديمة، فكلمة (dritteil) ومعناها (الثلث) أصبحت في اللغة الألمانية الحديثة (drittel)، ورغم بقاء الصورة المتصورة لهذه الكلمة إلا أن العلاقة بين الدال والمدلول تغيرت من ناحيتين، الأولى هي أن الدال تغير من ناحية مظهره المادي، والثانية من ناحية الصيغة النحوية له فقد أصبح كلمة بسيطة بعد أن كان كلمة مركبة، فنجد أنه حدث تغير في العلاقة بينهما، ونجد في اللغة الأنجلوسكسونية كلمة (Fôt) أي (قدم) بقيت على حالها في اللغة الإنجليزية (Foot)، أما في صيغتها في الجمع فقد تغيرت من (Foti) أي (الأقدام) إلى (Fêt)، وفي اللغة الإنجليزية (Feet) ومن هذه التغيرات نستطيع القول من خلالها أن العلاقة بين الدال والفكرة قد تغيرت، ونجد اللغة عاجزة عن حماية نفسها من كل التغييرات التي تطرأ عليها، فتؤدي إلى تزحزح العلاقة بين الدال والمدلول.

أما عن المؤسسات البشرية كالعادات والتقاليد، فإنها تقوم على العلاقات القائمة بين الأشياء، فاللغة حرة في اختيار وسائلها وليست مقيدة.

ونجد (ويتني) (Whitney) يلح كثيرا على صفة الاعتباطية، إلا أنه لم يهتم بمسألة أن الاعتباطية تميز اللغة تمييزا كليا، ويتجلى ذلك من التطورات التي تحظى بها اللغة فاستعمال البشر للغة وفي الزمن نفسه يمنعنا من إلحاق أي تغيير باللغة، وانتقد "دي سوسير" (ويتني) بقوله أن اللغة لا تشبه المؤسسات

1 – دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، ص121.

الاجتماعية الأخرى في كل شيء، فهي عبارة عن آلية معقدة وحضورها دائم مع الأفراد، كل الأفراد خلافا للمؤسسات الاجتماعية الأخرى (مثل طقوس ديانة ما أو الإشارات البحرية...) التي تشغل عددا محدودا من الأفراد في زمن واحد محدد، إلى جانب كونها (اللغة) تقوم على مبدأ الاعتباطية الذي يجعلها عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد عوامل التبدل.

فاللغة تتطور وتتغير نتيجة تأثير عوامل شتى سواء على مستوى الأصوات أو المعاني وهذا المبدأ يطبق على اللغات الاصطناعية، فنجد صاحبها يُبقي أسسها وقوانينها بيده، وما إن يتداولها البشر وتصبح ملكا للجميع تبدأ بالإفلات من يده، فتتوارثها الأجيال وتصبح إمكانية العودة بها إلى الوراء صعبة جدا لما طرأ عليها من تغير.

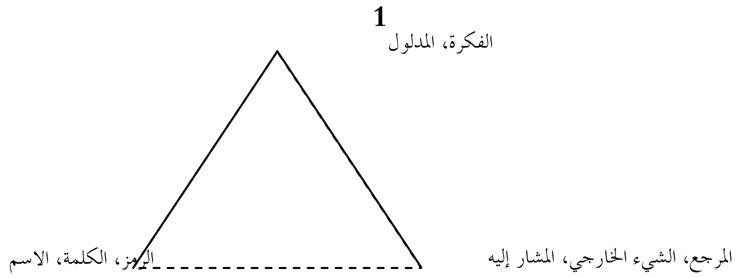
إن ما نصل إليه هو أن وجود اللغة دليل على وجود جمهور يستعملها، ولا يمكنها أن تخرج عن إطارها الاجتماعي، لأنها ظاهرة دلالية، ويعد الطابع الاجتماعي لها من خصائصها الداخلية، ومن هذا نستطيع القول أن اللغة والجمهور المستعمل لها متلاحمين، ولا ينفصلان، وإذا نظرنا إلى اللغة في الزمن دون النظر إلى مستخدميها، كأن تتصور شخصا عاش طوال حياته وحيدا، فإننا نلاحظ أنه لا توجد تغيرات في لغته، ولا أثر للزمن فيها، وإذا قلنا بوجود مستخدم اللغة ونقطع صلتها بالزمن فإننا لا نرى التأثيرات التي يخلفها مستعملو اللغة على اللغة ولإدراك واقع اللغة على حقيقته علينا أن نركز على أهمية الزمن في ذلك، من هذا نستطيع القول بأن اللغة ليست مقيدة ذلك أن الزمن يساعد القوى المستعملة للغة بالتأثير فيها واستمرارها الذي يؤدي بها طبعا إلى التغير.

المبحث الثالث: نظريات اللغويين في علم الدلالة:

1. النظرية الإشارية والتصورية:

أ. النظرية الإشارية:

عرفنا سابقا أن "أوجدن وريتشاردز" حددا في كتابهما القيم (معنى المعنى) مقومات العلامة اللغوية، وهما أول من طور ما يمكن أن يسمى بالنظرية الإشارية والتي أوضحاها بالمثلث الآتي :



يرى "أوجدن" و"ريتشاردز" أنه لا توجد علاقة بين الرمز والمرجع، ويعبران عن ذلك في مثلثهما بخط متقطع بين الرمز والمشار إليه في قاعدة المثلث.

والكلمة عندهما تحوي جزأين هما صيغة مرتبطة بوظيفتها الرمزية ومحتوى مرتبط بالفكرة أو المرجع[2]، فالعلاقة بين الشيء والفكرة علاقة مباشرة حين نفكر مثلا في أشياء ملونة حين نراها، وغير مباشرة كأن نفكر مثلا في أرسطو، فالنظرية الإشارية تعني أن معاني الكلمات هو ما تؤديه الإشارة إلى أشياء غير نفسها، ومن هذا نستخلص رأيين أحدهما يقول أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه وهو ما يوضحه لنا جانبي المثلث (الرمز والمشار إليه) والثاني يقول بأن معنى الكلمة يتضح من خلال العلاقة بين التعبير وما يشير إليه، وهو ما يتطلب دراسة الجوانب الثلاثة، لأنه عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية نستطيع الوصول إلى المشار إليه.

فأصحاب هذه النظرية يقولون أنه لا يجب أن يكون المشار إليه شيء محسوس يمكن ملاحظته (المنضدة) وكيفي (أحمر)، أو حدث مثلا الفعل (قتل)، أو فكرة تجريدية (الشجاعة)، ففي كل حالة يجب ملاحظة ما تشير إليه هذه الألفاظ، لأن كل هذه الكلمات تحمل معاني، كما يمكن أن يكون المشار إليه غير محدد، كأن نقول مثلا (شجرة) فهذه الكلمة لا تشير إلى شجرة معينة، وإنما نستطيع أن نتلفظ بها أو نطلقها على أي شجرة كانت.

---

1 – أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص54.

2 – أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص55.

وقد اعترض على هذه النظرية لأنها درست الظاهرة اللغوية بعيدا عن إطار اللغة، كما أنها تقوم على دراسة الموجودات الخارجية (المشار إليه)، أي لابد أن تكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم حتى تستطيع أن تعرف المعنى تعريفا دقيقا، كما أنها تضمنت كلمات مثل "لكن"، "أو"، "إلى"، أي أن هذه الكلمات بفهمها المتكلم والسامع، ولا تشير إلى شيء موجود، لذلك لا نستطيع التعرف عليه في العالم المادي، كذلك معنى الشيء يختلف عن ذاته، فعندما نقول مثلا (تفاحة) هذا يعني أن التفاحة تؤكل، ولكن المعنى الذي تشير إليه لا يؤكل.

ب. النظرية التصورية:

وجدت هذه النظرية عند "جون لوك" (John Locke) الذي يقول: "استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار، والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص"[1].

فهذه النظرية تقول بأن اللغة وسيلة لتوصيل الأفكار أو هي تمثيل معنوي لما في داخل المتكلم وأن ما يتم التعبير عنه لغويا يعتبر علامة تدل على فكرة معينة، هذه الأفكار الموجودة في أذهاننا لها وجودا مستقلا ووظائف مستقلة عن اللغة، ولكل واحد منا إمكانيته الخاصة في إخفاء هذه الأفكار والاحتفاظ بها مع إمكانية استغنائه عن اللغة، وأن نقل الأفكار من شخص إلى آخر هو الذي يجعلنا نقدم ما يدل على تلك الأفكار الموجودة في أذهاننا.

هذه النظرية تفترض لكل تعبير لغوي أن يمتلك فكرة، هذه الفكرة يجب أن تكون موجودة في الذهن، وعلى المتكلم أن ينشئ التعبير الذي يؤكد للآخرين أن تلك الفكرة فعلا موجودة في ذهنه في ذلك الوقت، وأن تصل الفكرة إلى ذهن السامع بمثل ما كانت موجودة في ذهن المتكلم، من هذا نقول أن هذه النظرية ركزت على ما هو موجود في عقول السامعين والمتكلمين من مختلف التصورات والأفكار التي تؤدي إلى اكتشاف المعنى وتحديده، فعندما نقول مثلا (كرسي)، فنجد معنى الكلمة بالنسبة للمتكلم هو صورة الكرسي التي يحملها في ذهنه، وبالنسبة للسامع هي صورة الكرسي التي يحملها في ذهنه كذلك، وقد اعترض على هذه النظرية ذلك أنه: مادام المعنى يعبر عن فكرة، فكيف يستطيع المتكلم أن ينقل المعني والأفكار إلى السامع، باعتبار أن الأفكار تعد ملكا خاصا بالمتكلم، ومن هذا المنطلق ظهرت عدة نظريات ومناهج منها النظرية السلوكية.

1 – المرجع السابق: ص57.

2. النظرية السلوكية الأمريكية (بلومفيلد):

تركز النظرية السلوكية على ما يستلزمه استعمال اللغة في الاتصال[1]، أي أنها تعتمد على المعنى الذي يُنبه الاستجابة اللفظية المعينة، أي اعتمادها على ما يلاحظ، ويمثلها (بلومفيلد) أي أنه يصف الاتصال اللغوي انطلاقا من القضايا التي يمكن ملاحظتها.

والمعنى عند "بلومفيلد" هو مجموعة النتائج المحصل عليها من خلال الموقف الذي يحدث فيه الكلام المعين، ويحصل ذلك من خلال عنصرين مهمين هما المثير والاستجابة، ولقد أوضح "بلومفيلد" ما قصده في قصة (جيل وجاك).

جاك وجيل سائران في الطريق، ترى (جيل) تفاحة على شجرة، وبما أنها جائعة تسأل جاك أن يحضرها لها، يتسلق جاك الشجرة ويعطيها التفاحة، تأكل جيل التفاحة[2]، فهذه الأحداث المتتابعة تعد موضوعا للدراسة من عدة جوانب، ومن هذه القصة يتضح لنا أن الأحداث العملية تتكون من ثلاثة أقسام:

أ. الأحداث العملية التي تسبق الحدث الكلامي، وهي التي تتعلق (بجيل) بصفة خاصة، حيث أنها كانت جائعة، أي أن عضلاتها كانت متقلصة، وربما كان لسانها وحلقها جافين إضافة إلى تأثير الموجات الضوئية المنعكسة على التفاحة التي وقعت في أنظارها، ووجود (جاك) إلى جانبها، وعلاقتها السابقة به (أخ، أخت)، كل هذه الأحداث التي سبقت الكلام نعدها منبها للمتكلم، أو مثيرا يستدعي استجابة.

ب. الكلام.

ج. الأحداث العملية التي تلي الحدث الكلامي، فهي متعلقة بصفة خاصة (بجاك)، ذلك أنه استجاب لما سمعه من (جيل) وتتمثل هذه الاستجابة في أنه أحضر التفاحة وأعطاها (لجيل)، وهذا ما ندعوه بالاستجابة، كما أن هذه الأخيرة تهم (جيل) ذلك أنها أخذت التفاحة وأكلتها.

أما عن الكلام فيتمثل في الحركات التي قامت بها (جيل) في حلقها وفهمها، أنتجت ضجة قليلة هي الكلام، فأخذ (جاك) يقوم بردود الأفعال، فالكلام الذي يعد هين الشأن في الحدث الكلامي يعتبر وسيلة لغايات كثيرة لأن له معنى، والمعنى يتكون من مجموعة الأشياء التي يتعلق بها الكلام، أي من الأحداث العملية التي تكون القسمين أ وجـــ.

---

1 – أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص59.

2 – أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص62.

وبناء على هذا نجد أن (بلومفيلد) والسلوكيين يعتبرون اللغة مجموعة من العادات الصوتية فمتكلم اللغة يسمع جملة ما، فتحدث عنه استجابة كلامية دون أن ترتبط استجابته هذه بأي شكل من أشكال التفكير، فالعلاقة بين المدلول والمرجع تتولد من عملية ذهنية تقوم على الملاحظة، فأساس الدلالة إذن هو الربط الأصوات والأشياء المحسوسة في البداية، وهذا الربط غير معلل، ثم التجريد، ويتم باستحضار الصور في الذهن، والتي تمثل المعنى ويتم ذلك التجريد بتدخل عنصر جديد وهو المدلول الذي ينعكس على الشيء، وبذلك ترتبط الأصوات بالمدلول الذي هو الصورة المجردة للشيء.

3. النظرية الاجتماعية الإنجليزية (فيرث):

ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه[1]، وهو دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي ترد فيه، إذ لا يظهر معنى الكلمة الحقيقي، أو لا تتحدد دلالتها إلا من خلال السياق بضروبه المختلفة[2]، وبمقتضى النظرية السياقية فإن المعنى يفسر باعتباره وظيفة في سياق[3]، ذلك أن المعنى اللغوي يتحدد من السياق الذي ترد فيه الكلمات ضف إلى ذلك الدور الذي تؤديه الكلمات في هذا السياق، فنجد أن الدارس المعجمي يحدد المعنى من خلال ملاحظته للكلمة التي ترد في نص مكتوب أو حديث، أي موضع الكلمة في عدة سياقات، كما أن معاني الوحدات الواقعة في السياق لا يمكننا تحديدها أو وصفها إلا من خلال ملاحظة الوحدات التي تقع بجوارها.

وقد اعترض "فيرث" على ما ذهب إليه (أوجدن وريتشاردز) من أن المعنى هو العلاقة بين الحقائق والأحداث من جهة، والرموز أو الكلمات التي تستخدم للإشارة إليها من جانب آخر[4]، بل يرى أن ينظر إلى المعنى على أن أنه علاقات موقفية من سياق الموقف.

فإذا تلفظنا مثلا بكلمة (قضى)، فإن الفعل (قضى) معروف لدينا وصورته الذهنية مطلقة لعدم ارتباطها بسلسلة كلامية، فنقول مثلا (قضى ربك) أي أمر، (قضى الدين) أي سدده، (قضى عليه) أي قتله، (قضى الصلاة) بمعنى أن يصليها في غير وقتها، نجد أن الفعل (قضى) فعل واحد، لكنه يختلف من تركيب لآخر بحكم السياق الذي وردت فيه، فدلالة الكلمة تتحدد من خلال السياق الذي ترد فيه،

---

1 – المرجع السابق: ص68.

2 – نور الهدى لوشن: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص95.

3 – محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم علم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، منشورات جامعة الفاتح 1993، ص99.

4 – المرجع السابق: ص99.

ولا يمكننا الاعتماد على المعنى الحرفي للكلمة، ولا المعنى الحرفي للجملة، ذلك ما يسميه "فيرث" بسياق الحال وهو الظروف الخاصة بالحدث الكلامي تمييزا له عن السياق اللغوي[1]، أي أن معنى الكلمة في هذه الحالة يتحدد من المواقف التي ترد فيه الكلمة، على خلاف السياق اللغوي الذي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة[2]، والسياق العاطفي وهو الذي يرتبط بالانفعال، أي دراسة الموقف الذي حلت فيه الكلمة، وردود الأفعال، كما عرفنا سابقا في قصة (جيل وجاك)، والسياق الثقافي ويتبين لنا في هذا الموقف من انتماء الناس إلى عدة ثقافات، فقد يكون للكلمة معنى هذا المعنى يختلف من محيط إلى محيط آخر، ومن بيئة إلى أخرى، فكلمة (جذر) مثلا يختلف معناها في اللغة وفي علم الرياضيات وفي الطب، وفي الزراعة.

فدراسة معاني الكلمات عند أصحاب هذه النظرية يتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها الكلمات، هو الذي جعلهم يقسمون السياق إلى أقسامه الأربعة، فلا نستطيع الفصل بين هذه السياقات لأنها أقسام مجتمعة من خلالها نستطيع الحصول على السياق مهما كانت أنواعه.

4. النظرية الاجتماعية السويسرية الفرنسية (فردينان دي سوسير):

يعد "دي سوسير" مؤسس المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية، وكان لدراساته الأثر البالغ على دارسي اللغة خصوصا المدرسة الفرنسية السويسرية، نتيجة تأثرهم بنظريات "دي سوسير".

يبني "دي سوسير" نظريته الاجتماعية في اللغة على أساس نظرية "دوركايم" الاجتماعية[3]، فهو يعد النشاط الجماعي مستقل عن أي فرد من أفراد الجماعة، ذلك أن للفرد وجوده الخاص، كما قرر بأن للظواهر الاجتماعية وجود خاص بها، فاللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، كما أن لسمات السلوك الاجتماعي وجودا مستقلا، فكل ما قرره "دوركايم" عن الظاهرة الاجتماعية يصدق على اللغة في نظرية "دي سوسير" اللغوية، حيث يصطنع ثالوثا خاصا يتضمن تصورات متكاملة، حيث تعد هذه التصورات من الأمور الأساسية والأولوية لفهم نظرية "دي سوسير" في اللغة، ومن هذه التصورات:

1 – فريد عوض حيدر: فصول في علم الدلالة، ص121.

2 – أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص295.

3 – محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، 1999، القاهرة، ص244.

أ. **اللغة** (La Language):

ويقصد اللغة بجل معانيها، باعتبارها ظاهرة إنسانية خاصة بأفراد الجماعة وهي أداة التواصل بينهم.

ب. لغة خاصة (La Langue):

.بمعنى اللغة السائدة في مجتمع ما، فمثلا نقول اللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية، فهي تضم نظام المفردات، والنحو لعصر من عصور لغة ما، وتاريخ هذه اللغة La Langue عند "دي سوسير" جماعية، حيث يرى أن هذه المجموعة من الكلمات بكل معانيها الخاصة، وتقسيماتها النحوية موجودة في ذهن المتكلم، ومستقلة عن الفرد، ولا مجال للتغيير فيها من قبل الفرد، فهذه اللغة في زاوية هي مجموع العادات اللغوية التي تحقق ما يسميه "دي سوسير" بالكلام، وهي خارجة عن الفرد.

ج. الكلام (La Parole):

وهو التصور الثالث الذي يعبر عنه "دي سوسير" ويعني به إعلان الفرد للغة وتحقيقهم إياها، ويتم ذلك عن طريق جملة الأصوات التي يتلفظ بها، وعن طريق العلامات المكتوبة، وهذا ما يسميه "دي سوسير" الكلام لأن للفرد القدرة على التحكم فيه، أي أن الفرد يسيطر على جل كلامه.

وقد فرق "دي سوسير" بين ما يسميه بالقيمة اللغوية للكلمة وما يسميه المقصود من الكلمة[1]، فهو يرى أنه لدراسة القيمة اللغوية يجب أن نركز اهتمامنا على دراسة عنصرين هما الفكرة و"الصورة السمعية (الأصوات)" التي تعبر عن هذه الفكرة، وأن معنى كلمة من الكلمات مرتبط ارتباطا متبادلا، أي علاقة متبادلة بين الكلمة والفكرة، فعند التفريق بين فكرتين فإننا تستعمل علامتين لغويتين مختلفتين فلا نستطيع أن نفكر دون أن نستعمل الكلمات، كما أن العلامة اللغوية تخلق بين فكرة والصورة السمعية لهذه الفكرة.

وكما عرفنا سابقا أن الرمز يقابل العلامة، وهذه الأخيرة تقابل كل العلامات الموجودة في اللغة، وأن قيمة كل رمز تتوقف على وجود كل الرموز، وقد عبر "دي سوسير" عن هذه الفكرة مثلا بقطعة من ذات خمسة فرنكات، حيث أن هذه القطعة باستطاعتنا استبدالها أو مقارنتها بقيمة من نفس نظام العملة كأن تستبدلها بقطعة من عملة أخرى كالدولار.

---

1 – المرجع السابق: ص246.

5. نظرية الحقول الدلالية:

إن تصنيف المدلولات طريقة متنوعة منصبة في قوالب مختلفة إلا أنها تهدف كلها إلى خدمة المعنى والتوسع في كل مجالاته.

تعرف الحقول الدلالية بأنها مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالتها ضمن مفهوم محدد[1]، أي هو مجموعة المفاهيم التي تنبني على علاقات لسانية مشتركة كأن نقول مثلا: (أب، أخ، أم...) فهي بهذا المفهوم تنتمي إلى حقل (القرابة)، وكذلك لفظ (سوار، خاتم، عقد...) تجتمع كلها تحت مفهوم (الزينة)، أو (أبيض، أخضر، أحمر...) تنتمي إلى حقل (الألوان).

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى القول بأن دراسة معاني الكلمات يجب أن يكون مقترنا بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي، ونستطيع القول أن "فردينان دي سوسير" هو الذي لفت الانتباه لهذه النظرية، حيث أشار مسبقا إلى وجود علائق دلالية بين المداخل المعجمية، وبإمكانها أن تصنف النظام إلى مجموعة من الأنساق والذي يسميه "دي سوسير" بالعلائق الترتيبية[2]، فهو تحدث عن العلاقات التي تنشأ بين الكلمات مثلا، اِرتاب، خشي، خاف وذهب إلى القول بأن كل كلمة تتحدد بالمحيط الذي ترد فيه، أي أن هذه الكلمة لا تتحدد إلا إذا نظرنا إليها في محيطنا.

"دي سوسير" اعتبر أن اللغة تقوم على ضربين من العلاقات، علاقات نظمية أو تركيبية ممتدة أفقيا في شكل متتابع (...) علامات عمودية تربط الألفاظ بشكل غامض[3]، فالعلاقات النظمية والتركيبية تعود أساسا إلى العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين الأفراد، أما عن العلاقات العمودية ذلك أن ألفاظها غير واضحة ناتجة عن العلاقات المفترضة والغائبة، وعلى كل حال فإن الإشارة لدى "دس سوسير" والعديد من السويسريين والألمان والفرنسيين طور نظرية الحقول الدلالية، واهتموا بدراسة أنماط منها، وقد قادت هذه الدراسات إلى التفكير في تأليف معجم كامل يضم جميع الحقول الدلالية الموجودة في اللغة.

---

1 – ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص79.

2 – ينظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 161.

3 – ينظر: نواري سعودي أبو زيد: الدليل النظري في علم الدلالة، ص128.

خاتمة

خاتمة:

وصلت إلى توقيع صفحة النهاية بعد أن كنت قد وقّعت أولى صفحاتها مع بداية عرضي هذا، وحاولت أن أتوج ما خطه قلمي في متن بحثي هذا المتواضع بأن أعطي نظرة وجيزة لأهم الجهود التي قدمها رائد اللسانيات "فردينان دي سوسير":

- أن الاهتمام باللغة قديم قدم الإنسانية، ويتجلى ذلك من اهتمامات القدماء بها، كالرومان واليونان والهنود وغيرهم، وامتدّ هذا الاهتمام إلى يومنا هذا.
- التغيرات التي وصلت إليها اللسانيات في القرن العشرين تعود إلى الأعمال القيمة التي قام بها "فردينان دي سوسير".
- علم اللسانيات هو العلم الذي يهتم بالدراسة العلمية للغة باعتبار اللغة أداة يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم.
- أن اللسانيات تختص بدراسة اللسان البشري، وذلك من خلال الإجراءات والمفاهيم المختلفة والأسس المعرفية التي يضفيها على الفكر الإنساني.
- اعتمد "فردينان دي سوسير" في كتابه على دراسة الثنائيات مثلا اللغة واللسان، اللغة والكلام الوصفي والمعياري وغيرها من الثنائيات.
- انبثقت عن دراسات "دي سوسير" للثنائيات عدة مدارس لسانية (براغ، لندن، كوبنهاجن...).

- اللسانيات علم واسع امتدت روابطه إلى علوم شتّى تستمد منها معطيات وتمدها بأخرى، ومن هذا نستطيع القول أنها (اللسانيات) الثورة المنهجية لمختلف العلوم والمعارف.

- علم الدلالة هو دراسة المعنى والنظريات الدلالية اهتمت في دراساتها على المعنى لإبراز وجهات النظر التي ترتبط بالمعنى، ولها علاقة بالدراسة الدلالية.

- كما أن علم الدلالة مرتبط بالرموز اللغوية لأهميتها البالغة في حياة الإنسان.

- أن العلامة اللغوية حسب ما توصل إليه "دي سوسير" لها مميزاتها التي تميزها عن غيرها مثل الاعتباطية والخطية...

- موضوعات علم الدلالة تدور حول العلامات والرموز.

- رغم اهتمام علم الدلالة بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة، فإنه يركز على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها أهمية خاصة بالنسبة للإنسان.

- اللغة الطبيعية في جوهرها هي ربط الأصوات بالمعاني ويتحقق ذلك في ظل الحافز التواصلي بين أفراد المجتمع اللغوي، مما يجعل اللغة حينئذ نظاما من العلامات التي تعطي مجالا أرحب من المفاهيم التي تعود إلى الخبرة الإنسانية.

- أن العلامة اللغوية كانت مركز الاستقطاب في الحضارة الإنسانية عبر الحقب الزمانية المختلفة، وستظل العلامة من حيث هي معطى نفسي وثقافي واجتماعي وحضاري بشكل عام.

- أن جهود الدارسين الأقدمين انصرفت كلها من أجل استكشاف حقيقة العلامة اللغوية، فشكلت بدورها موضوعا للدرس لدى الكثير من الفلاسفة والمفكرين القدامى إلى أن استقلت بموضوعها في الوقت المعاصر.

- المعنى ينشأ في إطار اجتماعي، وهذا ما وضحته النظرية الاجتماعية لدراسة اللغة "لدي سوسير"، والتي تبناها عن "دور كايم" وكذلك نظرية السياق "لفيرث" وغيرها.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. أبي الفتح عثمان بن جني: الخصائص،تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، 2003، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان.
2. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، 1985، القاهرة.
3. أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.
4. أحمد محمد قدور: مبادئ في اللسانيات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996، دمشق، سوريا.
5. أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المصطبوعات الجامعية، 1994، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.
6. إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2007، عمان، الأردن.
7. الطيب دبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين.
8. خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، ط1، 2009، عين مليلة، الجزائر.
9. رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007، إربد، الأردن.
10. زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.
11. سليم بابا عمر، باني عميري: اللسانيات العامة الميسرة، (علم التراكيب)، 1990، الجزائر.
12. شرف الدين الراجحي: مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، 2003.
13. شاكر سالم: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، الجزائر.

14. صلاح حسين: اللسانيات وعلم اللغة المعاصر وعلاقته بالعلوم الإنسانية، دار الكتاب الحديث، 2008.
15. عاطف مدكور: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987، القاهرة.
16. عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2005، عمان، الأردن.
17. عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2002، سلطنة عمان.
18. عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، 2007، الجزائر.
19. دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986.
20. دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب 1985، تونس، ليبيا.
21. فايز الداية: علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
22. فريد عوض حيدر: علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية) مكتبة الآداب، 2005، القاهرة.
23. محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
24. محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية،/ منشورات جامعة الفاتح، 1993.
25. محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، القاهرة.
26. محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
27. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، 1999، القاهرة.
28. مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2005، عمان، الأردن.

29. مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1998.
30. نواري سعودي أبو زيد: الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
31. نور الهدى لوشن: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، 2006، الإسكندرية.

الفهرس